أ.د. محمد جلاء إدريس

مقالاتى

أصحاب السبت

يطلب من:
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة
ت: ٣٩٠٠٨٦٨ - ٣٩١٩٣٧٧

الناشر
مكتبة الآداب

الطبعة الأولى : ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

إدريس ، محمد جلاء
أصحاب السبت / محمد جلاء إدريس ط١ - القاهرة
مكتبة الآداب ، ٢٠٠٦
١٨٧ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم (مقالاتى)
تدمك ٩ ٧٨٣ ٢٤١ ٩٧٧
١ - اليهود - مقالات
أ - العنوان

٩٥٦,٩٠٣

رقم الإيداع : ١٥٧١٨ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-241-783-9

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة
هاتف ٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢) -
e-mail: adabook@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾
صدق الله العظيم
سورة البقرة - آية (٦٥)

إهداء

إلى أستاذة الأجيال

أ.د / زاكية محمد رشدى

وقد كان لها أثر لا يمحى فى مسيرة حياتى

حباً وتقديراً واحتراماً

جلاء إدريس

الفهـــرس

أما قبـل

فهذه مجموعة من مقالاتى حول إسرائيل واليهود، كتبت منذ سنوات، وارتبطت بأحداث واكبتها آنئذ، قد لا تخلو من فائدة، جمعتها ورتبتها بعد إلحاح الكثيرين، إذ فى اعتقادهم أن الكتاب أبقى من الصحيفة أو المجلة، كما أنها تعكس مرحلة من مراحل نضال الكلمة فى صراعنا مع إسرائيل.

لم أتدخل فـى مضمـون المقالات بحذف أو إضافة إلا بهدف تقويـم جملـة، أو تصحيح عبـارة.

وأود الإشـارة إلي أن أننى عندمـا أكتب عن اليـهـود بشكل عـام، لا أنال من اليهودية كشريعة سماوية، فالمسلم يعترف بسماويتها وتنزيلها، لكنى أعرض لأتباع هذه الشـريعة، ومـا أدخلوه من تغييـرات عليـهـا، أخرجتهـا من أنوار الوحي، إلي ظلمات الأحبار.

هناك فارق كبير بين الدين وأتباع الدين.

كما أننى لا أعادى اليهود كجنس، فنحن واليهود الأصليون من جنس واحد، وننتمى إلى جدٍ واحد، لكننى أيضاً أعادى هؤلاء الذين استغلوا الانتماء إلى هذا الجد المبارك - إبراهيم (عليه السلام) - وارتكبوا كل الخطايا والآثام.

ولله الأمر، من قبل ومن بعد،،

محمد علاء إدريس

تمهيـــد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾.[1]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾.[2]

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾.[3]

﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

---

(١) سورة البقرة ٦٥.

(٢) سورة النساء ٤٧.

(٣) سورة النساء ١٥٤.

(١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾. (١)

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾. (٢)

هذه هى الآيات المباركات التى ورد فيها ذكر السبت وأصحابه، ولكن : ***من هم أصحاب السبت؟ وما هى قصتهم؟***

نشير أولاً إلى معانى بعض الكلمات الواردة فى الآيات الكريمة السابقة حتى تعيننا على فهم القصة ومعرفة فحواها.

- السبت : قيل إنه مأخوذ من السبت بمعنى القطع، ففيه سبتت الأشياء، وتمت خلقتها. وقيل هو من السبوت بمعنى الراحة والدعة.
- الخسو : الصغار والذلة.
- حاضرة البحر : بالقرب من البحر.
- عتوا : تجاوزوا.
- يعدون : بمعنى يعتدون وادغمت التاء فى الدال، وقيل إنها من الإعداد، أى إعداد آلات الصيد للحيتان.
- شُرَّعاً : أى ظاهرة على وجه الماء.
- لا يسبتون : أى لا يراعون أمر السبت.
- بئيس : شديد.

---

(١) سورة الأعراف ١٦٣/ ١٦٦.

(٢) سورة النحل ١٢٤.

روى ابـن عبـاس أن اليهود إنما افُترض عليهم اليوم الذى افترض عليـــــكم وهـو الجمعة فخالفوا إلى يوم السبت واختاروه فحام عليهم الصيد فيه وابتلوا به (أى اختبروا به) فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً حتى لا يُرى الماء من كثرتها، فمكثوا ما شـــاء الله تعالى لا يصيدون، ثم أتاهم الشيطان فقال : إنما نهيتم عن أخذها يـــوم الســبت فاتخذوا الحياض والشبكات، فكانوا يسوقون الحيتان إليها ثم يأخذونها يوم الأحد. [1]

وروى أشهب عن مالك قال : زعم ابن رومان أنهم كانوا يأخذ الرجل منهم خيطاً ويضع فيه وَهْقَةَ [2] وألقاها فى ذنب الحوت، وفى الطرف الآخر من الخيط وتد، وتركه إلى الأحد، ثم تطرق الناس حين رأوا من صنّع لا يُبتلى حتى كثر صيد الحوت ومُشى به فى الأسواق، وأعلن الفسق بصيده، فقامت فرقة فنهت وجاهرت بالنهى واعتزلت، ويقال إن الناهين قالوا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار، فأصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد. فقالوا إن للناس شأناً، فَعَلَوْا الجدار فنظروا فإذا هم قردة، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم، فعرفت القردة، فجعلت القردة تأتى أنسابها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي، فيقول : ألم ننهكم، فتقول برأسها نعم.

قال قتادة : صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، فما نجا إلا الذين نَهَوْا، وهلك سائرهم. [3]

أما القرية الوارد ذكـــرها فى سورة الأعراف فقد اختلف فيها، فقيـــل هى أيلة، وقيل هـــى بين أيلة والطور، وقال الزهرى طبرية. وقال قتادة وزيد بن أســلم هى ساحل مـــن ســواحل الشـام بين مدين وعينون يقال لها مقناة. أما زمن الواقعة فكان على أيـــام داود (عليه السلام).

---

(١) روح المعانى للألوسي، دار احياء التراث العربي، جـ٩، ص ٨٩.

(٢) الحبل فى طرفيه انشوطة (عقدة) يطرح فى عنق الدابة والإنسان حتى تؤخذ.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ١، ص ٤٤.

هذه هي قصة أصحاب السبت. أمر إلهي، ومعصية من بني يهود. والقصة لم تنته بعد، فقد يسأل سائل : هل يمكن أن يكون بيجن وشامير من نسل هؤلاء القردة والخنازير نظراً لوجود بعض أوجه التشابه في الشكل والفعل؟

والحقيقة أن العلماء قد اختلفوا في الممسوخ على قولين : قال الزجاج : قال قوم يجوز أن تكون هذه القردة منهم، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي.

وقال الجمهور : الممسوخ لا ينسل، وإن القردة والخنازير وغيرهما كانت قبل ذلك، والذين مسخهم الله قد هلكوا، ولم يبق لهم نسل لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام.

قال ابن عباس : لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل.[1]

وأخرج مسلم في كتاب القدر عن عبد الله بن مسعود إن الرسول (ﷺ) قد أخبرنا لمن سأله عن القردة والخنازير : هي مما مسخ؟ فقال : أن الله لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك.

وليس المهم هنا أن نثبت إذا ما كان شامير أخاً للشامبانزي أم أن بيجن حفيد لقرد ما، وإنما المهم هنا هو ما تشير إليه قصة أصحاب السبت.

يقول صاحب الظلال - رحمه الله - عن أصحاب السبت :

«فإذا جماعة منهم تهيج مطامعهم أمام هذا الإغراء (وجود الحيتان) فتتهاوى عزائمهم، وينسون عهدهم مع ربهم وميثاقهم، فيحتالون الحيل - على طريقة اليهود - للصيد في يوم السبت، وما أكثر الحيل عندما يلتوي القلب، وتقل التقوى، ويصبح التعامل مع مجرد النصوص، ويراد التفلت من ظاهر النصوص.

---

(١) الجامع للقرطبي، جـ١، ص ٤٤ وما بعدها.

إن القانون لا تحرسه نصوصه، ولا يحميه حرّاسه، إنما تحرسه القلوب التقية التى تستقر تقوى الله فيها وخشيته، فتحرس هى القانون وتحميه». [1]

فأين قلوب اليهود - التى طبع الله عليها - من عهودهم ومواثيقهم مع الله؟

أين كانت قلوبهم عندما عبدوا العجل؟

أين كانت قلوبهم حين تمردوا على موسى (ﷺ) وندموا على الخروج معه؟

أين كانت قلوبهم حين طلبوا رؤية الله جهرة؟

أين كانت قلوبهم حين خذلوا طالوت وشربوا من النهر؟

ثم أين كانت قلوبهم وعقولهم حين خرقوا الهدنة فى عام ١٩٤٨م؟

وحين اعتدوا على مصر عام ١٩٥٦م؟ وحين هاجموا الدول العربية عام ١٩٦٧م.

أين كانت قلوبهم وعقولهم حين تلاعبوا باتفاق ١٧ مايو ١٩٨٣ مع لبنان؟ وحين تلاعبوا بنصوص كامب ديفيد وما يسمى بالحكم الذاتى وأوسلو وخارطة الطريق؟

وإذا كان اليهود قد عصوا ربهم خالقهم، وعصوا رسله وأنبياءه وقتلوا منهم مَنْ قتلوا وآذوا الباقين منهم، هل يمكن لنا أن نسترجى منهم سلاماً وعهداً وميثاقاً؟

هل تكون مواثيق الأمم المتحدة عندهم أكثر احتراماً من مواثيقهم مع الله؟

وهل تكون مصر أو لبنان أو غيرها أكثر احتراماً لديهم من موسى وهارون وداود عليهم السلام؟

فمن منطلق معرفة طبائع بنى إسرائيل وسبر أغوارهم وإدراك مكنوناتهم من خلال قصصهم فى القرآن، ومواقفهم المشهورة، رأيت أن أقوم بكتابة زاوية أسبوعية فى صحيفة الجزيرة السعودية أعرض فيها لبعض نوادرهم وحوادثهم الماضية والتى حدثنا

---

(١) فى ظلال القرآن، جـ٣، ص ١٣٨٤.

عنها أصدق كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لنعى معانى هذه المواقف والقصص، ولنستعين بنورها على فهم نفسية هؤلاء القوم ومن ثم التعامل معهم، والاحتياط منهم.

وربما اتسع مضمون الزاوية عما كنت قد قررته فى نفسى، ويرجع ذلك لما تفرضه أحداث العصر التى لا يمكن لنا أن ننسلخ عنها، لذلك تناولت بعض القضايا والمفاهيم اليهودية الحديثة، كما قدمت جوانب من شخصيات صهيونية يهودية ينبغى علينا أن نعرفها ونعرف تاريخها.

وذات يوم كنت أعرض بعض مقالات هذه الزاوية الاسبوعية - والتى اخترت لها عنوان «أصحاب السبت» تذكيراً للقارئ بألاعيب هؤلاء الأصحاب - على أحد الأصدقاء، فأوحى إليّ بفكرة جمعها فى كتاب، ومضت فترة لم أفكر فيها فى هذا الاقتراح إلى أن كرره بعض الأصدقاء، لذلك عدت إلى «أرشيفي» الخاص وحاولت تنسيق هذه المقالات حسب نوعياتها مقسماً إياها إلى فصول، يضم كل واحد منها الموضوعات المتجانسة، فخرجت بهذه الصورة التى أقدمها الآن للقارئ العزيز فى هذا الشكل المتواضع، على أمل أن أقوم بالمحاولة مرة أخرى عند توفر مادة جزء ثانٍ، شريطة ألا يتضخم الحجم خشية الملل الذى يتسرب إلى نفوس البعض عند رؤية حجم الكتاب أو المقال.

وإنى لأرجو من الله تعالى أن يوفقنى فى هذا العمل لكشف بعض سمات هؤلاء القوم، فلعلنا نتذكر، ونعود إلى كتاب الله لتدبره بإمعان، فهو المرشد والمعين إلى الصراط المستقيم، وبالله التوفيق.

محمد علاء إدريس

الفصل الأول

من صفات اليهود
فـــى
القــرآن الكريــم

طابا وبقرة بنى إسرائيل

يقص علينا القرآن الكريم قصة بنى إسرائيل والبقرة، إذ أمرهم الله على لسان نبيه الكريم موسى (عليه السلام)، أن يذبحوا بقرة، فلم يذعن اليهود لأمر الله مباشرة، وإنما حاوروا نبيهم، واستغبوا، واستمروا يسألون حتى ضيق الله عليهم.

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ البقرة ٦٧ - ٧١.

نبى الله يأتيهم بأمر الله ويناورونه ويحاورونه. فظنوا فى البداية أنه يستهزئ بهم، ثم لما أدركوا حقيقة الأمر، ما كانت طبيعة هؤلاء القوم لتنفذ الأمر - وأى أمر - أمر الله تعالى لهم، وإنما راحوا يسألون ويسألون عسى أن يجدوا لهم مهرباً من تنفيذ أمر الله لهم، فقالوا ما هي؟ ما لونها؟ ثم إن البقر متشابه فكيف نعرفها؟

ولكن الله تعالى ضيق عليهم الخناق، وحدد لهم أوصافها وصفاتها حتى أنهم لم يجدوا فى البلدة إلا بقرة واحدة بهذه الصفات، دفعوا لها ثمناً باهظاً، ولو كانوا أطاعوا أمر الله قبل مناوراتهم لسهل عليهم الأمر ولأجزأتهم أية بقرة، لكنها طبيعة الجدال والتهرب من الالتزامات، وسلاطة اللسان ودناءة الأفعال التى تميز اليهود - إلا من رحم ربى - طوال حياتهم.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة السعودية، العدد رقم ٣٧٩٨ بتاريخ ١٤٠٣/٤/٢٩هـ الموافق ١٩٨٣/٢/١٢م.

فالعبرة المستقاة إذن من قصة البقرة التى سميت باسمها أطول سورة فى القرآن هى تذكيرنا بأساليب بنى إسرائيل فى تنفيذ الأوامر والالتزامات، وإذا كانوا قد ناوروا وحاوروا وماطلوا فى أمر الله، ومع نبى الله، فهل نستكثر عليهم أن يناوروا ويحاوروا ويماطلوا فى اتفاقيات كامب ديفيد مثلاً؟!

وقضية طابا هى نموذج من نماذج المناورة والمماطلة الإسرائيلية فى تنفيذ الالتزامات.

وطابا تمثل الحد الجنوبى للحدود الدولية بين مصر وفلسطين. وقد تم تحديد نقطة حدود طابا عام ١٩٠٦م فوق قمة تل بالمنطقة، وهى النقطة المعروفة بنقطة الحدود رقم(٩١).

وقد دخلت هذه المنطقة ضمن الأراضى التى احتلتها إسرائيل من مصر إثر حرب يونيو ١٩٦٧م، وجاءت معاهدة السلام بين مصر والعدو الإسرائيلى لتنص على الانسحاب الإسرائيلى إلى خط الحدود الدولية بين مصر وفلسطين أيام الانتداب، وهى الحدود التى أشرت إليها آنفاً.

لكن إسرائيل - بطبيعة قادتها وتكوينهم العقلى والنفسى - تزعم أن خط الحدود يمر جنوب النقطة (٩١)، بينما تتمسك مصر بنص اتفاقية ١٩٠٦م التى بموجبها يمر خط الحدود شمال هذه النقطة.

وعلى الرغم من أن المنطقة المتنازع عليها - كما تشير مصادر مصرية - لا تزيد فى أقصى اتساع لها عن ٨٠٠ متر، كما أنه ليس لها أهمية استراتيجية، إلا أن التمسك بها هو من باب المماطلة فى تنفيذ الاتفاق المبرم بين الطرفين.

إن المتأمل فى أعماق الشخصية الإسرائيلية المعاصرة يمكن له أن يدرك أن حالة الاستسلام والذلة والمسكنة التى عاشها هؤلاء القوم طيلة تاريخهم نتيجة تصرفاتهم، قد انقلبت إلى تمرد سافر وعصيان واضح - عندما توفر لهم بعض أسباب القوة - إزاء تنفيذ أى اتفاق أو التزام.

إنها عودة الروح (مع الاعتذار للأستاذ توفيق الحكيم)، روح الآباء والأجداد، إلى يهود هذا الزمن، فياليت أرواح آبائنا وأجدادنا الأفذاذ تعود إلينا.

عندما يتفرعن اليهود !!

وصف الحق تبارك وتعالى فرعون مصر بصفات عديدة، وأخبرنا عن أحواله وتصرفاته بما جعلنا نشتق من لقب هذا الرجل «فرعون» ألفاظاً دخلت قواميس لغتنا لتشير إلى هذه الصفات التى اتسم بها الفرعون المذكور.

يقول الله تعالى عن فرعون :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص آية ٤ .

وإذا أمعنا النظر في كتاب الله تعالى وجدنا العديد من صفات فرعون، فمنها الكفر والغطرسة والعناد، وجاءت هذه الآية الكريمة لتجمع لنا أكبر قدر من صفاته، ويكفينا أن نعلم منها «أنه كان من المفسدين» والفساد جامع لكل الصفات اللا أخلاقية والإجرامية والتى منها التكبر والتنكيل بالأبرياء.

وصفات فرعون الإجرامية قد طبقها هذا الفرعون على بنى إسرائيل، أتباع موسى (عليه السلام) فى مصر، وقد أصبحنا نستعمل هذا الاسم ومشتقاته للدلالة على صفات بغيضة.

فقد جاء فى لسان العرب : كل عات فرعون والعتاة الفراعنة، والفرعنة : الكبر والتجبر.

وجاء فى المنجد : فرعن : تكبر

تفرعن : تخلق بأخلاق الفراعنة، طغى وتجبر.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٩٦٤ بتاريخ ١٤٠٣/١٠/٢٧هـ الموافق ١٩٨٣/٨/٦م.

فالطغيان والتجبر والتكبر من صفات فرعون الذى أذاق اليهود صنوف العذاب، كفر بدينهم، قتل أولادهم واستحيا نساءهم وصلب المؤيدين لهم وقطع أطرافهم.

وينقلب الحال فى عصرنا الحاضر لنجد اليهود الذين اكتووا بنار فرعون، يتخلقون بأخلاقه ويتصفون بصفاته بل ويفوقونه فيها.

فقد طغى اليهود وتجبروا وكفروا عندما منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وحرقوها ودنسوها، كما أفسدوا فى الأرض وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ.

فالمسجد الأقصى قد حرق، والحرم الإبراهيمى قد امتهن، ومساجد القدس قد اعتدى عليها، والصلاة قد منعت فى كثير منها.

والمذابح قد ارتبطت باسمهم منذ ظهورهم على هذه الأرض، فكم من أطفال قتلوا فى دير ياسين وبحر البقر وصبرا وشاتيلا!!

وكم من شيوخ لم تحترم شيبتهم ونُكِّل بهم، وقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف!!

وكم من نساء بقرت بطونهن، واعتدى عليهن، وعذبن وسجن وسممن.

فأى طغيان وأى علو وأى تجبر وأى تكبر بعد هذا؟!!

لقد فاق يهود القرن العشرين فراعنة مصر، لأن من بين الفراعنة من آمن بالله، وكف الأذى عن هؤلاء القوم، ولكننا نكاد نعدم من بين يهود من يتخلق بأخلاق هؤلاء المؤمنين من الفراعنة.

حقا .. تفرعن اليهود، ولعلنا - إن أخلصنا إيماننا لله - ينقذنا من فرعنتهم كما أنقذ موسى (عليه السلام) وأتباعه.

ومازالوا يحرفون الكلم

حَرَفَ، حرَّفَ : اى أمال الشئ عن وجهه، وتحريف الكلام عن مواضعه هو تغييره، والتحريف فى القرآن : تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها.

ونقول انحرف الرجل أى : مال عن الاستقامة فى مشيته، ثم استخدمت للانحراف الخلقي.

وقد وصف الله تعالى فى كتابه الكريم بعض اليهود بتحريف كلام الله سبحانه وتعالى :
﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٧٥

والاستفهام فى الآية الكريمة يحمل معنى الإنكار والتيئيس من إيمان هذه الفرقة من اليهود.

وقال تعالى :
﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ... ﴾ النساء ٤٦

وقال تعالي
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ... ﴾ المائدة ١٣

ويقول الحق تبارك وتعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ المائدة ٤١.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٣٣ بتاريخ ١٤٠٣/٦/٥هـ الموافق ١٩٨٣/٣/١٩م.

لقد اخبرنا الله تعالى فى هذه المراضع المباركة من كتابه الكريم بحقيقة اليهود، وأنهم يحرفون كلامه وكلام رسله بما يتوافق وأهواءهم دون خشية لله وخوف منه، وكيف يخشونه وقلوبهم قاسية، وضرب على سمعهم وأبصارهم.

ويخطئ من يعتقد أن صفات اليهود وبنى إسرائيل فى القرآن إنما تخص السابقين من هؤلاء القوم دون الحاضرين. فلسان الحال ينبئ بأن يهود القرن العشرين قد ورثوا آباءهم وأجدادهم فى أخس وأحقر الصفات. ويجب علينا أن ندرك أن من حرف كلام الله ورسله جدير بأن يحرف أى اتفاق أو نص وإن وقعت عليه دول العالم مجتمعة.

ومن صور التحريف اليهودى فى العصر الحديث، أكاذيب ساسة العدو الإسرائيلى وقادته.

فشارون يزعم أنه تقابل مع كيسنجر فى الوقت الذى لم يتقابلا فيه على الإطلاق.

ومناحيم بيجن يلفق مواد جديدة من نصوص كامب ديفيد على غرار مسابقات الكلمات المتقاطعة ،فهو يأخذ مثلاً كلمة and beyond من فقرة ليضعها فى فقرة أخرى لا تتفق معها على الإطلاق، وإنما لتضليل الجماهير وامتصاص غضبهم.

ومناحيم ميلسون رئيس ما يسمى بالإدارة المدنية فى الأراضى العربية المحتلة يحرف كلمات الرئيس ريجن إزاء موقفه من منظمة التحرير الفلسطينية.

والحكومة الإسرائيلية بأسرها تحرف الكلم أيضاً فى ردودها الرسمية على رسائل الحكومات الأخري. فتزعم حكومة بيجن فى رسالة رسمية لها إلى حكومة واشنطن أن اتفاقيات كامب ديفيد لا تمنع فرض السيادة الإسرائيلية على الأراضى المحتلة أثناء الفترة الانتقالية، بينما تقر الاتفاقيات عدم اتخاذ أى إجراء من جانب واحد دون موافقة مصر وأمريكا عليه، ومصر لن توافق بالطبع على مثل هذا الإجراء؛ أعنى فرض السيادة الإسرائيلية على الأراضى العربية المحتلة.

وتزعم حكومة العدو الإسرائيلي، حكومة أصحاب السبت، أن للولايات المتحدة دور الوسيط، بينما تنص الاتفاقيات على أنها - أى الولايات المتحدة - شريك كامل فى كل خطوات الاتفاقيات ومستلزماتها.

وسلسلة الاكاذيب الصهيونية المبنية على تحريف الكلام لا تنتهى ولا تنقطع، ولن تنتهى أبداً، فاليهود هم أكثر الناس حفاظاً على عادات أسلافهم وخاصة السيئة منها.

ومن هنا نستخلص حقيقة مهمة وهى أنه لابد أن ندرس جيداً أوضاع اليهود فى كتاب الله تعالي كى نعرف أساليبهم فى المعاملات، لأنه يبدو أننا مازلنا حتى الآن لا نعرف حقيقة عدونا.

آكلو السحت

سَحَتَ فى اللغة معناها اكتسب السحت، أى المال الحرام ويقال أسحت تجارته أى دخلها الغش والحرام.

والسُحْتُ ما خبث وقبح من المكاسب فلزم عنه العار كالرشوة.

ويقال رجل سحت أى واسع الجوف لا يشبع.

وأصل السحت فى اللغة الهلاك والشدة. قال تعالى «فيسحتكم بعذاب»، ويقال للحالق أسحت أى استأصل.

وسمى المال الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات أى يذهبها ويستأصلها.

وقال الفراء : أصله كلب الجوع. يقال رجل مسحوت المعدة أى أكول، فكأن المسترشى وآكل الحرام من الشره إلى ما يعطى مثل الذى بالمسحوت المعدة من النهم.

واليهود، آكلون للسحت، وقد وصفهم الله تعالى بذلك فى كتابه الكريم فى أكثر من موضع.

قال تعالى فى حقهم : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ المائدة ٤٢ .

وقال تعالى فى اليهود أيضاً : ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ المائدة ٦٢

فالسحت، أو الرشوة، كما فسره ابن مسعود رضى الله عنه : سمة من سمات اليهود منذ زمن طويل، وسبق وأن أوضحت أن اليهود هم أكثر الأجناس حفاظاً على عادات الآباء والأجداد السيئة على وجه الخصوص.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٦١ بتاريخ ١٤٠٣/٧/٣هـ الموافق ١٩٨٣/٤/١٦م.

والمجتمع اليهودى المعاصر يزخر بمظاهر السحت التى انتشرت فى الوزارات والمصالح الحكومية، وبات الوزراء وكبار المسؤولين لا يخجلون من أكل السحت.

فموظفو الجمارك يأكلون السحت.

وموظفو الفنادق يأكلون السحت.

وموظفو الدوائر الحكومية يأكلون السحت.

ورؤساء البلديات يأكلون السحت.

والوزراء يأكلون السحت.

المجتمع اليهودى الصهيونى بأسره يحيا ويعيش على السحت، وتتطور مظاهر السحت ووسائله مع تطور التكنولوجيا، ويستفيد المرتشون من الأساليب والوسائل العصرية، حتى أنواع السحت ذاتها تتطور مع تطور المخترعات، فهى فى الخمسينيات كانت أوراقاً نقدية بسيطة، أصبحت فى الثمانينيات أجهزة كهربائية حديثة، وسهرات ماجنة ومصايف فاخرة.

قد يحاول بعض المتفلسفين إرجاع ظاهرة الرشوة إلى أسباب اجتماعية بحتة، ولكن مهما حاولنا إيجاد مبررات لها فهى ترجع أساساً إلى الأصول المستشرية فى النفس اليهودية والتى حدثنا عنها كتاب الله تعالى.

ويمكن أن نضيف إلى هذه الأصول بعض العوامل الأخرى المساعدة مثل تدهور أخلاقيات المجتمع الصهيوني، وانحلاله اجتماعياً واقتصادياً.

هذه سمة من سمات أصحاب السبت، وهى تضاف إلى رصيدهم المخزى من الصفات القبيحة – عفانا الله وإياكم منها.

قتلة الأنبياء

أصابت الدهشة الكثيرين إثر تورط اليهود في مذابح صبرا وشاتيلا وغيرها من مذابح القرن العشرين.

كما يندهش بعضنا ويستهجن قتل اليهود لبعض الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، لا لذنب سوى أنهم مسلمون أو عرب.

ونحن لو أمعنا النظر في كتاب الله تعالى لزالت دهشتنا، بل ولتوقعنا من هؤلاء القوم أكثر من ذلك. ولعلمنا أن نسف المساكن، أو اغتصاب الأرض، إنما هي أمور هينة للغاية إذا ما قورنت بأفعال هؤلاء القوم على مدى تاريخهم الأسود.

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة ٨٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة ٩١

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران ٢١

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ المائدة ٧٠

نشر هذا المقال في جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١١١ بتاريخ ١٤٠٣/٣/٢٧هـ الموافق ١٩٨٣/١٢/٢١م.

فأما تكذيبهم للرسل والأنبياء فمعروف ومشهور، وكلنا يعلم مواقفهم من النبي محمد (ﷺ) ومن عيسى (عليه السلام)

وأما قتلهم الأنبياء فهناك من أفلحوا بالفعل فى قتله كيحيى (عليه السلام) عندما نهاهم عن زواج ابنة الأخ، ومنهم من لم يفلحوا فى قتله كمحمد (ﷺ) وعيسى (عليه السلام)، وكلنا يعرف أيضاً ما حاكه هؤلاء القوم ضدهما من مؤامرات، وما نسجوه من دسائس.

قال عبد الله بن مسعود : كانت بنو إسرائيل تقتل ثلثمائة نبى ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النهار.

وقال عبد الله بن مسعود أيضا أن رسول الله (ﷺ) قال : أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبى أو قتل نبياً، وإمام ضلالة وممثل من الممثلين» ... رواه أحمد.

والتاريخ اليهودى الإجرامى حافل بالمؤامرات والمكائد والدسائس التى حيكت ضد أنبياء الله ورسله، وبالقرآن الكريم العديد من الإشارات إلى هذا الإجرام، وقد سقت فى هذا المجال بعض الآيات الكريمة التى يخبرنا فيها المولى عز وجل بهذه الفعلة النكراء - قتل الأنبياء - والتى يوبخ الله تعالى فيها هؤلاء القوم على تلك الأفعال.

ولنا بعد ذلك أن نتساءل : هل سيكون العرب أعز عند هؤلاء القوم - أصحاب السبت - من أنبياء الله ورسله؟!

هل يخشى أحفاد أصحاب السبت موسكو أو واشنطن وغيرها وهم الذين لم يخشوا ربهم؟!

يجب علينا أن نتوقع كل أنواع الجريمة والإرهاب من أصحاب السبت، وألا نضع فى اعتبارنا احترامهم لدولة وإن علت، ولا تنفيذهم لميثاق أو عهد وإن وقع عليه أحبارهم وزعماؤهم. فهم قد خانوا الله ورسله، وخرقوا كل عهد قطعوه مع الله، ومن السذاجة بعد ذلك أن ننتظر منهم المحافظة على اتفاقية أو القيام بالتزامات، فصفات أصحاب السبت ثابتة لم ولن تتغير، وليس أمامنا - والله - إلا كتاب الله نتدبر آياته، ونفهم كلماته، فالحمد لله أنه كتاب بلسان عربى حتى لا نختلف فى التأويل والتفسير، ونعود لنص آخر يحكم بيننا فيما اختلفنا فيه، وصدق الله العظيم إذ يقول : «إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون».

ومن اليهود : خنازير وحمير وقرود

حدثنا القرآن الكريم عن اليهود وبنى إسرائيل كثيراً، وتاريخ هؤلاء القوم حافل بكل عجيب وفريد، فمحتويات عصورهم منذ ظهورهم على مسرح الأحداث تضم ما لو نسج المؤلفون حوله قصصاً لفاقت فى حجمها ما يسمى بألف ليلة وليلة.

وبالرغم من أن هناك أقواماً خالفوا أوامر الله وكذلك رسله، إلا أن عذاب الله لهم لم يتخذ صور غضب الله على اليهود، لأنه ما من أمة فعلت أفعال اليهود وسلكت مسالكهم لا مع الله، ولا مع الرسل، ولا مع البشر، ولا حتى مع أنفسهم.

فمن اليهود من مسخهم الله خنازير، وذلك ما ينبئنا به الحق تبارك وتعالى فى سورة المائدة حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ المائدة ٦٠

هذه الآية الكريمة نزلت فى اليهود لجحودهم دين الله، وقد قال المسلمون لليهود بعد نزولها : يا أخوة القردة والخنازير، فنكسوا رؤوسهم.

ومن اليهود من قلبهم الله إلى قردة، وقد أكد لنا كتاب الله تعالى ذلك فى عدة مواضع بالإضافة إلى الآية السابقة.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ البقرة اية ٦٥

وقال تعالى :

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ الأعراف أية ١٦٦ .

وأسباب هذا المسخ، والتحول من الطبيعة الإنسانية الراقية إلى الطبيعة الحيوانية المتدنية ترجع أساساً لمعصية الله والتمادى والتجاوز فى تلك المعصية، وقد اختلف العلماء فى الممسوخ : هل ينسل؟

قـــال الزجـــاج : قال قوم يجوز أن تكـــون هذه القردة منهم، وهذا ما اختاره القاضى أبو بكر بن العربي.

وقال الجمهور : الممسوخ لا ينسل، وإن الذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نســـل.

وسواء أصاب الرأى الأول أم الرأى الثاني، فإن المشاهد لأحوال اليهود فى العصر الحاضر لا يسعه إلا أن يجزم بأن هؤلاء اليهود المعاصرين إنما هم فى مرتبة أدنى بكثير من مراتب الإنسانية المتعارف عليها، سواء من ناحية الإجرام وسفك الدماء، أم من ناحية أخلاقيات المجتمع الإسرائيلى المتردية، وكأنى أراهم فى القرن العشرين قد بقوا على هيئة الإنسان وورثوا صفات الحيوان من الفتك، والغدر والإباحية.

أما الحالة الثالثة التى بينها لنا الله تعالى لليهود بعد الخنازير والقردة فهى تشبيههم بالحمير، قال تعالى :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الجمعة آية ٥

فقد ضرب الله تعالى مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالتوراة، ولم يؤمنوا بمحمد، بالحمار الذى يحمل فوق ظهره أسفاراً (كتبا) لا يدرك ما فيها من خير. فهم قد حملوا التوراة، أى كلفوا العمل بها ولم يعملوا بها.

قال الشاعـــر :

زوامل للأسفار لا علـم عندهـــم بجيـدها إلا كعلـم الأبـاعر

لعمرك مـا يـدرى البعيـر إذا غـدا بأوساقه أو راح ما فى الغرائر

الوسق : حمل البعير.

الغرائر : جمع غرارة بالكسر وهى الجوالق.

هذه بعض أحوال اليهود فيما مضي، والمتأمل فى أحفادهم الآن لا يجد فروقاً كبيرة بين الأحفاد والأجداد.

وإن عدتم عدنا

ذكر لنا كتاب الله الكريم العديد من مفاسد بنى إسرائيل على مر التاريخ، فمنهم أصحاب السبت الملعونين، ومنهم القردة والخنازير، ومنهم عبدة العجل، ومنهم قتلة الأنبياء، ومنهم المفسدون فى الأرض.

وفى هذا اللقاء أحاول أن استعرض بعض مفاسد أصحاب السبت وأبنائهم من خلال آيات كريمة تفتح أمامنا آفاق التدبر فى هؤلاء القوم، وتهزنا كى نستيقظ لمؤامراتهم ومكائدهم.

يقول الحق عز وجل :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ «الإسراء ٤ – ٨»

القضاء هنا كما يقول سيد قطب – رحمه الله – هو إخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم حسب ما وقع فى علمه الإلهى من مآلهم لا أنه قضاء قهرى عليهم.

وقد أخبرنا الله تعالى فى الآيات الكريمة السابقة بأن بنى إسرائيل سيفسدون فى الأرض مرتين وأنهم سيعلون ويسيطرون فى كلتا المرتين ثم يدحرون ويقهرون لاتخاذهم من هذا العلو والسيطرة وسيلة للفساد.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤٠٥٥ بتاريخ ١٤٠٤/٢/١هـ الموافق ١٩٨٣/١١/٥م.

فعلو بنى إسرائيل ينحدر لفسادهم، وانحدار القاهرين لبنى إسرائيل يتم نتيجة لطغيانهم، فسبب انحدار وقهر الجانبين هو التكبر والفساد والغرور. فهذا يعتقد أنه لا يقهر، وذاك يرى فى نفسه كل القوة والجبروت فيطغى اعتماداً على هذا الاعتقاد الخاطئ.

والمرتان المذكورتان فى الآيات الكريمة كثرت حولهما الآراء فقالوا : جالوت وبختنصر ومجوس الفرس وغيرهم. وإذا كانت الآيات لم تحدد اسم قاهرى بنى إسرائيل، فقد حددت لنا صفاتهم فى قوله تعالى : «فجاسوا خلال الديار» «أولى بأس شديد» «وليتبروا ما علوا تتبيراً» والتتبير هو التدمير.

والأمر لا ينتهى بهاتين المرتين المذكورتين؛ فقد وضع الله تعالى لنا قاعدة لنفس النتيجة فى قوله سبحانه : «وإن عدتم عدنا» أى وإن عدتم للفساد فى الأرض فسنعيد إرسال من يسومكم سوء العذاب مهما تعددت المرات، فالقاعدة عامة ومطلقة.

ومن نماذج الفساد والتدمير، أى العمل والجزاء مصداقاً لسنة الله فى خلقه، خروج اليهود المفسدين من الجزيرة العربية على أيدى المسلمين، ومذابح هتلر ضد اليهود، وغيرها.

والآن... فى عصرنا الحاضر، بلغ بنو إسرائيل فى صورة إسرائيل ذروة الفساد. وأى فساد بعد احتلال الأرض، وهتك العرض، واستحلال الحرام، والطغيان، والاعتداء على بيوت الله.

أى فساد بعد المذابح التى وقعت فى دير ياسين وبحر البقر وأبى زعبل وصبرا وشاتيلا؟

أى فساد بعد هدم المساكن. وتشريد أصحاب الأرض؟

أى فساد بعد قتل الأطفال والنساء والشيوخ؟

أى فساد بعد منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه؟

إن أوجه الفساد والعلو الطغيان التى يمارسها الصهاينة فى فلسطين وغيرها من دول المسلمين والعرب بل والعالم عديدة وكثيرة، ومن الصعوبة إيجازها أو حصرها.

هذا هو الشق الأول من المعادلة : إفساد بنى إسرائيل فى الأرض، وقد تحقق ذلك ونلمسه جميعاً.

وبقى الشق الثانى لتكتمل سنة الله، وليتحقق وعد الله فى قوله «وإن عدتم عدنا»

لقد عادوا بالفعل، والحكمة الله التى لا يعلمها إلا هو، وبقى الشق الآخر الذى لا شك فى وقوعه إن عاجلاً أم آجلاً.

ولكن هل نكون نحن المسلمون العرب أداة تحقيق حكم الله ووسيلته فى بنى إسرائيل لردعهم ووقف إفسادهم وطغيانهم؟

بقى أن نكون عباداً لله بحق، ثم نكون أولى بأس شديد، لا بين أنفسنا وإنما ضد عدونا، فإذا تحقق لنا ذلك، عبادة الله الخالصة والبأس الشديد، كان لنا شرف تحقيق وعد الله فى تطهير أرض الله من فساد المفسدين.

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى

يخبرنا كتاب الله الكريم بأصدق الصفات التى لازمت وتلازم اليهود منذ القدم، وإلى الأن. وإذا كنت قد تناولت فى هذه الزاوية بعض صفات اليهود التى وردت فى كتاب الله عز وجل، وتظهر بوضوح فى المجتمع اليهودى المعاصر، فإن فى نهجى هذا دعوة لأولى الألباب لدراسة وضع اليهود فى كتاب الله دراسة متأنية لاستقاء العبر التى تعيننا فى رسم سياستنا تجاه هؤلاء القوم.

وفى لقاء هذا السبت، نتناول صفة جديدة يحدثنا عنها القرآن الكريم. يقول الله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة ٦٤

وهذه الآية الكريمة تزخر بالعديد من صفات اليهود التى سنتناول واحدة منها فى هذا المجال، وهى الواردة فى قوله تعالى : «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ» وهى الصفة التى تؤكدها الآية الرابعة عشرة من سورة الحشر فى قوله تعالى :

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾

وجاء فى تفسير هاتين الآيتين الكريمتين : ألقينا أى بين طوائف اليهود ويقول الألوسى فى روح المعانى فمنهم قدرية وجبرية ومنهم مرجئة ومشبهة ونقول إن منهم فى العصر الحديث اشكنازيم وسفارديم وفلاشا.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٦٨ بتاريخ ١٤٠٤/٧/١٠هـ الموافق ١٩٨٣/٤/٢٣م.

وقال القرطبى فى :﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ عداوة بعضهم لبعض ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أى مجتمعين على أمر ورأى ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أى متفرقة.

وقال الألوسى فى ﴿وقلوبهم شتى﴾ أى متفرقة لا ألفة بينها يعنى أن بينهم عداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد.

وإحدى صور هذا العداء وهذه البغضاء فى العصر الحديث والتى نلاحظها بوضوح فى المجتمع اليهودى هى صورة العداء بين الاشكناز (اليهود الغربيين) والسفاراد (اليهود الشرقيين).

فقد زادت حدة المواجهة بين شباب الطائفتين الذين يدرسون فى المدارس الحكومية الدينية بصفة خاصة، وهى مواجهة ناتجة عن الوضع الاجتماعى لكلتا الطائفتين.

فأبناء الاشكناز ينفرون من التقاليد الشرقية ويرون أنفسهم أفضل وأرقى من السفاراد، ويكنون فى قلوبهم الكراهية والحقد تجاه تلك الطائفة.

وأبناء السفاراد يبغضون اليهود الغربيين ويحقدون عليهم لأنهم يتمتعون بالمزايا – رسمياً – التى يحرمون منها، ولأن السفاراد فقراء يعيشون حياة معدمة فى الوقت الذى ينعم فيه الغربيون.

وتشعل السلطات الإسرائيلية نار العداوة والبغضاء بين الطائفتين لتزيد من تشتيت قلوبهم؛ فتضع التلاميذ الاشكناز فى فصول راقية، بينما تضع السفاراد فى فصول قذرة؛ وتخلق لذلك الحجج الواهية والأعذار.

وتظهر صورة هذه العداوة وهذا التشتت عندما يحرم أبنا الطوائف الشرقية من المناصب الكبرى الحكومية والتى أصبحت حلماً بعيد المنال لأبناء السفاراد، وقد أثار تعيين موشى ليفى الشرقى الأصل رئيسا لهيئة أركان الجيش الإسرائيلى تساؤلات عديدة، فهو حلم تمناه بن جوريون منذ نشأة إسرائيل ولم يتحقق إلا الآن.

ولا أريد الاسهاب فى رسم صور العداوة والبغضاء داخل المجتمع اليهودى المعاصر، وكل ما أريده فى الختام أن نحاول الاستفادة من هذا التشتت. وهذه العداوة النفسية الداخلية، كما يستفيد عدونا تماماً من تشتتنا وعداوتنا الظاهرية الخارجية.

اليهود بين الإنعام والإنتقام

الإنعام حيث الطاعة، والانتقام حيث المعصية، إحدى سنن الله فى خلقه، ويشهد على ذلك كتاب الله الكريم فى كثير من المواضع التى ضرب الله تعالى فيها أمثلة لنا كى نتخذ منها العبرة والعظة.

واليهود – كخلق من مخلوقات الله – خضعوا لهذه السنة الربانية، وامتلأ تاريخهم بمظاهر الانعام الإلهى عندما أطاعوه، وبمظاهر الانتقام أيضاً حين عصوه.

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء، وفى الحديث عن بنى إسرائيل : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ الآية ٧

ويقول سبحانه وتعالى فى نفس السورة أيضاً عن بنى إسرائيل: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾

ونفهم من هذه الكلمات المضيئة أن عمل الإنسان مردود عليه، فإن أطاع وشكر كانت له النعم، وإن عصى وكفر كانت عليه النقم.

وقد لفت انتباهى بحث حول هذه النقطة قام به الدكتور/ السيد رزق الطويل تحدث فيه عن بنى إسرائيل بين الإنعام والانتقام وقد أحسن فيه، فجزاه الله خيراً. [١]

ومن مظاهر الانعام التى منحها الله لبنى إسرائيل فى تاريخهم ما يلى :

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ المائدة آية ٢٠

---

١ – السيد رزق الطويل، بنو إسرائيل فى القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م،

فبعد نعمة التفضيل الإلهى لبنى إسرائيل، وبعد نعمة الرسالة والكتاب السماوى تضيف الآية الكريمة السابقة نعمة اختيار أنبياء الله منهم، فمن بنى إسرائيل كان يوسف، وكان موسى، وكان هارون، وكان داود، وكان سليمان عليهم جميعاً السلام.

كما جعل الله منهم الملوك، وأسبغ عليهم من النعم ما لم يمنحه - وهو القادر على كل شئ - لأى أمة سبقتهم.

فهل منح الله لأحد من عباده ما منحه لسليمان (عليه السلام) ؟

وكم من نعم أنعم الله بها على نبيه موسى (عليه السلام) ؟

لم تقتصر مظاهر الإنعام الإلهى على اليهود وبنى إسرائيل على النواحى المعنوية فحسب وإنما كانت معنوية ومادية أيضاً، فكما أنزل الله عليهم التوراة وجعل منهم الأنبياء، جعل الله منهم - فى أزمنة وفترات متفاوتة - الحكام، كما يسر الله تعالى لهم سبل الرزق وأنجاهم من فرعون وعذابه بخروجهم من مصر وما صاحب هذا الخروج من نعم لا تحصى، حيث أورثهم سبحانه وتعالى الأرض من بعده، وأنزل عليهم المن والسلوى.

وإذا كانت هذه هى بعض - لا كل - وجوه الإنعام الإلهى على اليهود، فيحدثنا القرآن الكريم أيضاً عن صور الانتقام التى حلت ببنى إسرائيل، وهى كما أسلفت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانحرافهم عن الطريق المستقيم وضلالهم وعصيانهم.

وأول ما يطالعنا من عصيان يهودى كان إثر خروجهم من مصر حيث تمردوا على نبى الله موسى (عليه السلام) وهموا بقتل هارون أخيه، ثم عبادتهم للعجل، وحنينهم إلى عبادة الأوثان بعد أن أنعم الله عليهم بالإيمان، ثم إصرارهم على رؤية الله جهرة، والانتقام منهم بالصاعقة، وكذلك رفع الجبل فوقهم لتخويفهم عندما أعرضوا عما أنزل الله عليهم، هذا بالطبع بالإضافة إلى الحكم الإلهى بالتيه فى الصحراء، جزاء تقاعسهم عن اتباع نبيهم ودخول الأرض المقدسة.

ثم كان الانتقام الإلهى منهم بالمسخ إلى القردة والخنازير فى قصة أصحاب السبت، وبالذلة والمسكنة والغضب جزاءً لكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، وعصيانهم واعتداءاتهم.

وما السبى البابلى على يدى بختنصر، واستئصال قيصر الرومان لشأفتهم، وتنكيل هتلر بهم، إلا بعض صور الانتقام الإلهى من هؤلاء القوم مقابل عصيانهم لله تعالى.

وقد يعتقد البعض أن قيام دولة لهم فى فلسطين، وتفوقهم على المسلمين فى عدة حروب، واحتلال أراضيهم هو من قبيل الإنعام الإلهى على اليهود، على العكس، إن الوجود اليهودى الإسرائيلى بالصورة التى قد تبدو لنا شامخة وقوية فى العصر الحديث ليس دليلاً على إنعام الله عليهم ورضاه عنهم، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ المؤمنون آية ٥٥/ ٥٦.

وقوله تعالى :

﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ آل عمران آية ١٧٨

هذه بعض ملامح أصحاب السبت - السلف والخلف - والتى وردت فى أصدق كتاب لا يقبل الشك ولا يأتيه الباطل، ولم نعرض لها فى هذا المقام لمجرد علاقتها باليهود وبنى إسرائيل فقط، وإنما لتكون لنا نحن موعظة وذكرى، فالذكرى حقاً تنفع المؤمنين.

الفصل الثانى

مفاهيم
يهودية ... صهيونية

الماسونية (*)

الماسونية نتاج فكر يهودى بحت، وهى قمة ما وصل إليه الفكر اليهودى من زيغ وضلال.

ولقد كثر الكلام حول الماسونية حتى بات البعض يرجع كل مآسى العالم ومصائبه إلى هذه الآفة الخطيرة. وفى هذا المقام أحاول أن أقدم لمحة سريعة عن الماسونية لمن لا يعرف عنها شيئاً.

• تعريف الماسونية :

يقول المستشرق الهولندى دوزى :

«إن الماسونية جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة هى إعادة الهيكل، إذ هو رمز دولة إسرائيل».

وقد عرفت الماسونية بهذا الإسم عام ١٧١٦م، ولكن أصولها تمتد إلى النصف الأول من القرن الميلادى الأول.

• غاية الماسونية :

الماسونية تبطن خلاف ما تظهر، وإن فى تعريفها السابق ما يوضح غايتها الباطنة، فالغاية الظاهرة التى يضلل بها الناس هى كما يرويها لنا أحد أعمدة الماسون العرب إليا الحاج فى كتابه «الخلاصة الماسونية» ص ١٢، ١٣ : «إن غايتها الأعمال الخيرية لبنى الإنسان؛ تحمى اليتيم، وتعضد الأرملة، وتقود العالم إلى الحرية والمساواة والإخاء ... الغرض منها سنة الفضيلة».

أما الماسونى شاهين مكاريوس فيقول فى كتابه «الآداب الماسونية» :

(*) مقال نشر مفصلاً ومختصراً فى عدة صحف ومجلات، وألقى فى أكثر من محاضرة بدول عديدة.

«وأى مقصد أشرف من مقصد هذه الجمعية، وأى غاية أحمد من غايتها، ألا وهى توطين الحب بين أعضائها، ورفع الشقاق والبغض، وحثهم على فعل الخير والإحساس مع اخوتهم المحتاجين، ومساعدتهم فى بلاياهم».

ويرد لويس شيخو على هذه الغايات الكاذبة المضللة فى كتابه «السر المصون» فيقول:

«جاء فى التقرير الرسمى للمسيو براش المكلف من قبل الجهات الفرنسية المسؤولة للتحقيق فى شكاوى الماسونية، والذى نشر فى الجريدة الرسمية عام ١٩٠٢م : «من النتائج التى تحققناها فى إبان تفتيشنا أن الماسونية تقر بأنها لا تهتم بالبؤساء ولا تنوى مساعدة الفقراء، ومن ثم يتضح أنه لاصحة لقول الزاعمين بينهم بأن الماسونية جمعية خيرية.»

وقد نقل براش بعض أقوال الماسون أنفسهم، فمنهم من قال : «ليس الإحسان إلى المحتاجين من شؤون الماسونية»، وقال آخر : «كثيرون من اخوتنا الماسون يجهلون تعليمنا الجوهري، وغاياتنا القصوي، فيظنون أن جماعتنا جماعة إسعاف متبادل، أو جمعية خيرية لمد أيدى المساعدة للمعوزين، وهذا كله شطط وضلال».

• تسمية الماسونية :

ترجع هذه التسمية إلى الكلمة الفرنسية «فرمسون» وهى مركبة من لفظين هما : «فران» ومعناها «الصادق»، و«ماسون» أى «الباني»، فالمقصود منها إذاً: البناؤن الصادقون.

وهذه التسمية حديثة إذا ما قورنت بنشأة الماسونية، فقد أطلقها جوزيف لافى أحد أحفاد المؤسسين الأوائل لهذه الحركة، أما أول اسم لها فهو «القوة الخفية» ويرجع إلى منتصف القرن الأول الميلادى.

ومن الافتراء والكذب، أن تعنى هذه التسمية المضمون الحقيقى لكلمتى البنائين الصادقين، لأننا سنرى فيما بعد أنها أبعد ما تكون عن البناء والصدق.

ولعل المقصود من «البنائين الصادقين» هو بناء سياج منيع حول اليهودية لحمايتها من أعدائها، ولإيهام الآخرين بأن هذه الجمعية إنما تهدف إلى بناء الحياة على أسس الإخاء والمساواة، وكذلك استغلال شركات البناء التى كانت تنتشر فى ذلك الوقت وتضم بين جنباتها عشرات الآلاف من العمال.

ومن مسميات هذه الحركة الخبيثة أيضاً : «الأرملة» تكريماً لحيرام مؤسسها، حيث مات أبوه وهو صغير، وإيعازاً للآخرين بما تحتاجه الأرملة من عون ومساعدة. ويطلق على كل منسوب فيها «ابن الأرملة».

• نشأة الماسونية :

تضاربت الأقوال حول نشأة هذه الحركة، وقبل الخوض فى نشأتها يجدر بنا أن نلقى بعض الضوء حول مكوناتها :

أولاً : شاعت بين الوثنيين فى القرون السابقة لعهد المسيح (ﷺ) عدة جمعيات سرية كانت تحجب أسرارها الفاسدة تحت ستر الظلمة فتدعى ظاهراً ترقية العلوم أو التقرب من الآلهة، وهى فى الواقع موارد خلاعة وفساد، ومن هذه الجمعيات أسرار كيباله، وأسرار أدونيس.

ثانياً : يقال إن الماسونية هى حفيدة لجمعيات سرية ظهرت فى أوائل عهد النصرانية لمناصبة المسيح العداء، وكان أتباعها يسمون بالأوريين ومنهم المانيون والاثنينيون، ولازالت بعض طقوس ورموز هذه الجمعيات ضمن شعائر الماسونية فى الوقت الحاضر.

ثالثاً : هناك شيع أخرى ذات علاقة وثيقة بالماسونية منها : الكتاريون والألبيجيون فى البلغار والبشناق (فى القرن الثانى عشر الميلادي) وكانت تعاليم تلك الفرق سرية مخزية، وهذا ما قرره أحد كهنة البروتستانت المؤرخ هورتر حيث قال :

«إن من يعتبر نظام الشيعة الماسونية الباطني، وما تكيده من المكايد منذ نحو ستين سنة لمناوأة الكنيسة الكاثوليكية ثم يقابل بين مبادئها ومبادئ شيع الكاثريين

المعروفة لا يسعه إلا الإقرار بالتوافق الموجود بينهما، ليس فقط من حيث المبادئ العمومية، ولكن أيضاً فى دقائق الأمور».

رابعاً : فى طقوس الماسونية وشعائرها وأحكامها عدة أشياء تشير إلى تاريخ اليهود وطبائعهم ولا سيما شيعة القباليين منهم والتى بينها وبين الألبيجيين روابط متينة.

إن قضية نشأة الماسونية لتعتبر لغزاً بحق، إذ أنها تخفى حتى على أعضائها، لذلك راح مشاهير الماسون يتخبطون فى الحديث عنها.

يقول جورجى زيدان فى كتابه «تاريخ الماسونية العام» :

«للمؤرخين فى منشأ هذه الجمعية أقوال متضاربة : فمن قائل بحداثتها، فهى على قوله لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد، ومنهم من سار بها إلى ما وراء ذلك فقال إنها نشأت من جمعية الصليب الوردى التى تأسست عام ١٦١٦م، ومنهم من أوصلها إلى الحروب الصليبية، وآخرون تتبعوها إلى أيام اليونان فى الجيل الثامن قبل الميلاد، ومنهم من قال إنها نشأت فى هيكل سليمان، وفئة تقول إن منشأ هذه الجمعية أقدم من ذلك كثيراً فأوصلوها إلى الكهانة المصرية والهندية وغيرها. وبالغ آخرون فقالوا أن مؤسسها آدم، والأبلغ من ذلك قول بعضهم أن الله سبحانه وتعالى أسسها فى جنة عدن (تعالى الله عن ذلك الافتراء) وأن الجنة كانت أول محفل ماسوني، وميخائيل رئيس الملائكة كان أول أستاذ أعظم فيه».

دعونا من تلك التخاريف لنلقى نظرة على حقيقة نشأة هذا الوباء، إذ ترجع الماسونية إلى رجل يدعى حيرام أبيود، وكان مستشاراً للملك اليهودى هيرودوس اكريبا.

وحيرام هو الذى ابتكر فكرة تأسيس جمعية القوة الخفية التى جددت فيما بعد باسم الماسون. وقد اقترحها على الملك اكريبا ملك اليهود (٣٧م - ٤٤م) وهو حفيد هيرودوس الكبير الذى قتل أطفال بيت لحم. وقد تأسست هذه الجمعية فى القدس فى الرابع والعشرين من شهر حزيران فى السنة الثالثة والأربعين بعد ميلاد المسيح.

وكان حيرام قد اقترح تسمية هذه الجمعية بالاتحاد اليهودى الأخوي، لكن الملك اكريبا رأى لها اسم القوة الخفية، وقد استحسن الحاضرون هذا الاسم، وطلب منهم الملك الحضور بعد يوم لأداء يمين الأمانة التى سيقوم بتأليفها لهم.

التقى المؤسسون وكان عددهم تسعة أشخاص فى الموعد المحدد، وتلا الملك نص اليمين على النحو التالى :

«أنا فلان بن فلان، أقسم بالله وبالتوراة وبشرفى بأننى حيث قد صرت عضواً من الأعضاء التسعة المؤسسين لجمعية (القوة الخفية) أتعهد أن لا أخون اخوانى أعضاءها بشئ يضر بشخصيتهم، ولا بكل ما يعود لمقررات الجمعية، أتعهد بأن أتبع مبادئها، وأتمم كل ما نقره باتفاقنا نحن التسعة المؤسسين بكل دقة وطاعة وضبط، وبكل غيرة وأمانة. أتعهد أن اجتهد بتوفير عدد أعضائها، أتعهد بمناهضة كل من يتبع تعاليم الدجال يسوع (يقصدون المسيح) ومحاربة رجاله حتى الموت، أتعهد أن لا أبوح بأى سر من الأسرار المحفوظة بيننا نحن الستعة لأيٍ كان من الخارجين أو من أعضائها، وإذا خنت بيمينى هذه وثبتت خيانتى بأنى بحت بأى سر أو بأية مادة من مواد قانونها الداخلى المحفوظ لنا نحن وخلفائنا فقط فيحق لهذه العمد الثمانية أن تميتنى بأى طريقة كانت».

ثم كرر الملك تلاوة اليمين ثلاث مرات، ولم يعترض أحد من الحاضرين على النص، وأدى الحاضرون اليمين، ووضع الملك يده اليمنى على التوراة، وأمسك بنص اليمين، وفعل الحاضرون كما فعل، ثم ألقى خطاباً بعد ذلك جاء فيه :

«الآن قد تأسست جمعيتنا (القوة الخفية) لتبقى قوتها وأعمالها ومبادؤها وغايتها خفية إلى الأبد».

وبعد أيام من أداء القسم التقى المؤسسون، وألقى الملك اكريبا خطاباً فى افتتاح الجلسة عبر فيه عن ضرورة أن يكون لهم نادٍ للاجتماعات السرية، واقترح له اسم أورشاليم تيمناً بأورشاليم.

وقد اقترح حيرام وضع بعض الطقوس الغريبة لمن يريد الانضمام إلى هذه الجمعية، وذلك بغرض إيهام العضو المنضم بأقدمية هذه الجمعية.

وكان من الطبيعي أن يكون للمشتركين قسم يكبلهم بقيود تهدد حياتهم وذلك لتحقيق المراد من انضمامهم لهذه الجمعية، وقد مر القسم بمراحل عديدة وشهد تطورات على نصه حتى انتهى به الأمر إلى النص الآتي وهو المستخدم حتى الآن :

«اقسم بمهندس الكون الأعظم أن لا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام ولا بالحركات، وأن لا اكتب شيئاً عنها، ولا أنشر بالطبع أو الحفر أو التصوير، وأرضى - إن حنثت بقسمى - بأن تحرق شفتاى بحديد محمي، وأن تقطع يداي، ويحز عنقي، وتعلق جثتى فى محفل ماسونى ليرانى طالب آخر فيتعظ بها، ثم تحرق جثتى ويذر رمادها فى الهواء لئلا يبقى أثر من جنايتي».

النص السابق يمثل قسم العضو المبتدئ، وكلما ترقى العضو زادت فقرات على اليمين لتزيد من القيود المكبلة له لضمان سرية هذه الجمعية.

● رموز الماسونية :

اختار الملك اكريبا عمودين سماهما : بوعز وجاكين، كما اختار أيضاً بعض أدوات البنائين، وكلها من الخشب ليوهم الغير بأن الجمعية ترجع إلى عهد سليمان، وأن هذه الآلات هى التى استعملت فى بناء هيكل سليمان.

أما الرموز الأخرى كالسيف والمطرقة والنجوم الثلاث، فهى ترمز إلى سخرية اليهود من بعض الأحداث المتعلقة بالمسيح (عليه السلام) .

- علامات التعارف :

وضع أحد مؤسسى جمعية القوة الخفية قواعد ورموزاً للتعارف بين أعضاء الجمعية مازال العمل ببعضها جارياً حتى الآن مع إدخال بعض التعديلات والإضافات.

وإن كنت لا أعرف علامات تعارف الماسونيين فى القرن العشرين إلا أنه بالإمكان أن نعرض للعلامات القديمة فربما نشاهد بعضها ذات يوم فى مجلس ما، خاصة وقد كثرت أسفارنا فى العصر الحاضر.

١- فى حالة الضيق، وعندما يضطر الماسونى المتضايق للاستغاثة، يرفع يديه فوق رأسه متماسكتين، فإذا وُجِدَ خفيون (ماسونيون) يعرفونه ويقدمون له المساعدة والعون.

٢- التعارف بالعينين، وهو أن ينظر الواحد إلى الآخر أولاً عيناً إلى عين، ثم يحول النظر إلى الكتف الأيسر ثم إلى الأيمن، فإذا كان الشخص الآخر ماسونياً فعل مثل ذلك فيتم التعارف.

٣- عندما تصير التحية بمصافحة الواحد للآخر باليدين، يضغط طالب التعارف بإبهامه ضغطة خفيفة جداً - لا يدركها ويعرفها إلا من كان ماسونياً - على العقدة الأولى العليا من السبابة، فإذا كان الآخر ماسونياً يجاوب بمثل هذه الحركة فيتم التعارف، وهذه الطريقة مازالت حتى الآن، لأنها مما اشترط موآب لافى - أحد المؤسسين التسعة - بقاءه.

- كيفية جذب الآخر للماسونية :

جاء على لسان أحد الماسون فى كتاب «السر المصون فى شيعة الفرمسون» لمؤلفه لويس شيخو ما يلى :

«إن أراد اخوتنا الماسون أن ينظموا أحداً فى شيعتنا فليصفوها لهم وصفاً شائقاً قائلين لهم إنها جمعية خيرية غايتها الترقي، وإن أعضاءها أخوة يعيشون بالوداد والمساواة، وإن الماسونى وطنه المعمورة كلها، فليس مكان فى العالم إلا ويلقى أخوة يتسابقون فى إكرامه ومساعدته لدى معرفتهم أنه من شركتهم، وبمجرد استعماله للشعار السرى والمصافحات الجارية فى العائلة الماسونية، وإن رأوا أحداً يحب الفضول ويتوق إلى معرفة الأسرار فليقولوا له إن فى الماسونية أسراراً لا يعرفها غيرهم، وإن عثروا على رجل يطلب رفاهية الحياة، فليذكروا له أن فى الماسونية مآدب متواترة يرشفون فيها بنت الحان ويأكلون المآكل الطيبة توثيقاً لعروة الحب والمؤاخاة. وإن كان المقصود

إدخالهم فى الماسونية من أهل الصناعة والتجارة، فليثبتوا لهم أن الشركة فى الماسونية تفيدهم فى أرباحهم وتوسع نطاق أعمالهم، وتنمى عدد زبائنهم، وقس على ذلك بقية الناس، فعلى الماسونى أن يقدم لكل واحد من الأدلة الموافقة لحاله وحرفته وعقله وميوله فيجذبه بما هو أوفق لمقتضى الأحوال.

– أقسام الماسونية الحديثة :

أولاً : الماسونية الرمزية الابتدائية : وتقوم على ثلاث درجات، وهى منتشرة فى كثير من بلدان العالم وسميت بذلك لكثرة رموزها، ولأن تلاميذها مبتدئون يجهلون الأهداف. وهى تزعم أنها جمعية إنسانية تقوم على المحبة؛ محبة الأعضاء فيما بينهم، ومحبة الوطن.

ومن شعاراتها : الحرية، الإخاء والمساواة.

ولها ثلاث درجات هي:المبتدئ والشغال والأستاذ، ولكل درجة منها رموز خاصة.

ثانياً : الماسونية المتوسطة الملوكية : ومعظم أصحابها لا يرون إلا مصالحهم الخاصة التى كفلتها لهم الماسونية، وكانت عضويتها فيما مضى مقصورة على اليهود الصهاينة، ولكن لتمويه الآخرين أصبح يقبل فى عضويتها الآن غير اليهود.

وتقوم هذه الماسونية على تقديس ما ورد فى التوراة بشأن بناء هيكل سليمان، لذلك يقسم أعضاؤها على العمل من أجل إعادة دولة إسرائيل وإعادة بناء الهيكل رمز اليهودية.

ومن أهم درجاتها : الرفيق الأعظم.

ثالثاً : الماسونية الكونية (المدرسة العالية) : وتضم حكماء إسرائيل وورثة السر، وهم الذين يتصرفون فى المحافل بما يعود على اليهود فقط بالنفع والفائدة.

ولا أحد يعرف مقرها ولا رئيسها إلا أعضاؤها. وهؤلاء الأعضاء هم رؤساء المحافل الملوكية، وكلهم من اليهود.

وللماسونية الكونية محفل مركزى واحد. وهدفها تحقيق الأغراض الصهيونية تحت شعار الحرية والإخاء والمساواة.

ولكن ماذا يعنى هذا الشعار؟!

ينخدع السذج بمضمون هذه الكلمات البراقة، ويعتقدون أنها الأمل المنشود، ولكن لهذه الكلمات معانى أخرى لدى اليهود :

فالحرية لديهم تعنى حرية اليهود من تسلط النصارى والمسلمين عليهم.

والمساواة تعنى طرد سكان فلسطين من ديارهم وإحلال الصهاينة مكانهم.

أما الإخاء فهو الاخاء العنصرى اليهودي.

• بعض الآراء الماسونية :

حتى لا يتهمنا أنصار هذه الحركة الهدامة والمنتشرة فى ربوع العالم بما فيه عالمنا العربى والإسلامى بالتحامل على حركتهم، رأيت أن اقتطف القليل من الآراء والأفكار الماسونية والتى تكفى – لمن لم يختم الله على قلبه وسمعه وعقله – كى ندرك كنهها ونقف على خطورتها.

– فمن شعارات الماسونية : «ينبغى أن يشنق آخر الملوك بمصران آخر الكهنة».

لقد وضعت الماسونية نصب أعينها قتل الملوك والرؤساء ونصب المكايد لهم. والتاريخ يؤكد لنا أن الماسون هم الذين قتلوا ابن الملك شارل العاشر الدوق دى بارى فى فرنسا، كما قتلوا الملك همبرت الأول فى إيطاليا، واسكندر الثانى واسكندر الثالث فى روسيا، والملك اليصبات فى النمسا، ووصل نشاطهم المدمر إلى جمهورية خط الاستواء فقتلوا رئيسها غرسيا مورينو، ولم تسلم منهم الولايات المتحدة فقتلوا رئيسها ماكينلى عام ١٩٠٢م.

وإنى لعلى يقين من أن الجمعيات والمحافل الماسونية كانت وراء مقتل العديد من علماء المسلمين فى العصر الحديث.

- الشعب فى نظر الماسونية ليس إلا أداة لتحقيق أغراضهم. تقول النشرة الماسونية الصادرة فى تموز ١٩٠١م :

«الشعب غوغاء، وأنتم أيها الماسون النخبة الممتازة، فإياكم أن تمتزجوا به فتفقدوا شرفكم، وإنما الشعب فقط آلة فى أيديكم».

- وموقف الماسونية من المرأة خطير بحق. وهذا الموقف يفسر لنا ما وصلت إليه أحوال النساء فى مختلف أنحاء العالم الآن.

تقول زوجة جوناس أحد أعمدة الماسونية الحديثة موجهة حديثها إلى المرأة :

«أيتها المرأة، بما أن لك أعظم التأثير، وأعلى النفوذ فى الكون، كما يشهد التاريخ منذ أبينا آدم الذى كان سقوطه بالمخالفة بواسطة المرأة، وكما تشهد أقوال العلماء والفلاسفة والرجال العظام، فمن قولهم : إن المرأة تهز السرير بيمينها، وتهز العالم بيسارها...».

وفى موضع آخر تقول نفس هذه المرأة :

«فعليكن أنتن أن تنفذن بالقول والعقل، كما وأن تستعملن كل ما لديكن من الوسائل فى سبيل إقناع الرجال. واعلمن أن كل عمل مخل بالأديان إنما مصدره من الماسونية لأنها بمبالغتها فى تفسير الكلمات الثلاث : حرية، مساواة، إخاء، قد أفلتت الأعنة إلى البشر، وهى التى بثت روح التمرد فى رؤوس النساء غير الفاضلات».

لقد أدركت الماسونية أن الأسرة هى أساس المجتمع، لذلك بثت سمومها لتقويض دعائم الأسرة، فرأينا بعض تعاليمها إلى المرأة. أما بالنسبة للأب، رب الأسرة، فقد جاء فى إحدى الأوراق الماسونية :

«إن الأمر الجوهرى فى استمالة الناس إلى جماعتنا إنما هو إفراد الرجل عن عائلته وافساد أخلاقه».

ولم يغب عن الماسونية تدمير العلاقة القائمة بين الأبناء ووالديهم، لذلك نرى الماسونى ديدور يقول :

«إن سلطة الآباء على البنين ليست مبنية إلا على المنافع الخاصة التى يؤملون تحصيلها منهم».

وورد فى كتاب الخطيب الماسونى ص ٤٥٦ :

«ليست معرفة الجميل واجباً لازماً على البنين لوالديهم، وإنما هو شئ اختياري، والولد إذا بلغ سن الرشد أُعْتِقَ من حكم الطاعة لوالديه».

ولعل أبرز صورة معاصرة من صور تدمير الأسرة هى دعوة تحديد النسل، فقد سن الماسون - إمعاناً فى الفساد فى الأرض - ما يسمى بالزواج العقيم، وعملوا على نشره، وهو يقضى بعدم إنجاب الأطفال، وهو ما تطور ووصل إلى مجتمعات المسلمين فى صورة تحديد النسل أو تنظيم الأسرة.

ويذكر لنا التاريخ أن هذه الدعوة كادت أن تقوض دعائم الأمة الفرنسية فى الحرب السبعينية، إذ حرمت فرنسا نتيجة هذه الدعوة ما يقرب من ١٥ مليون نفس.

● الماسونية والإسلام :

ذكرت فى البداية أن الماسونية قد ظهرت فى بداية دعوة المسيح (عليه السلام) بهدف تقويضها والقضاء عليها .. فماذا كان موقفها بعد ظهور دعوة محمد (ﷺ) ؟!

يقول ليفى موسى ليفى :

«فى أواخر القرن السادس للدجال يسوع الذى أضنكنا بتدجيلاته، ظهر دجال آخر ادعى التنبؤ بالوحي، وأخذ ينادى بالهداية وشد العرب الذين كانوا عبدة الأصنام إلى عبادة الإله الحق، وسن شرائع مخالفة لسنة ديانتنا اليهودية، فمال إليه كثيرون فى مدة قصيرة، فقمنا نناهض دعوته وإرشاده وسنته، ونصرخ بأصواتنا الخفية، لنفهم الذين يميلون إليه وإلى رجاله أنه وإياهم دجالون كسابقهم يسوع».

لقد بات واضحاً أن هدف الماسونية الرئيس هو القضاء على تعاليم المسيحية والإسلام، وذلك بزعزعة الثقة فيهما، وقد طورت الماسونية أسلوبها القديم وتعددت

خططها فى حربها ضد الإسلام ومن هذه الأساليب والخطط المذاهب والاتجاهات والتيارات الضالة المضلة مثل : البابية، والبهائية، والباطنية، والقاديانية وغيرها.

وجاء فى نشرة الماسون الألمانية فى ١٥ كانون الأول عام ١٨٦٦م :

«ليس فقط يجب على الفرمسون أن لا يكترثوا بالأديان المختلفة، لكن يقتضى عليهم أيضاً أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أياً كان».

وأبرز أساليب الماسونية فى محاربة الدين تظهر فيما عبر عنه الماسونى العربى ابراهيم اليازجى فى قصيدة له قال فيها :

الخير كل الخير في ... هدم الجوامع والكنائس
والشر كل الشر ما ... بين العمائم والقلانس
ما هم رجال الله فيكم ... بل هم القوم الأبالس
يمشون بين ظهوركم ... تحت القلانس والطيالس

ويمكن أن نقتطف بعض العبارات الماسونية الشهيرة التى كتبها رجالهم تجاه الدين إذ قالوا :

- إن الإلحاد من عناوين المفاخر، وليعش أولئك الأبطال الذين يناضلون فى الصفوف الأولى وهم منهمكون فى إصلاح الدنيا.
- يجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألوا جهداً فى القضاء على مظاهرها.
- إننا لا نكتفى بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، إنما غايتنا الأساسية هى إبادته (أى الدين) من الوجود.
- النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة.

ولنا هنا وقفة قصيرة إزاء تلك النغمة - نغمة فصل الدين عن الدولة - والتى سمعناها مؤخراً على ألسنة العديد من الحكام الذين تولوا - للأسف - أمور المسلمين

فى بعض البلدان، والذين لاشك فى أنهم قد غرقوا فى مستنقعات الماسونية حتى آذانهم، وصاروا يرددون هذه الشعارات كالببغاوات دون حياء أو خجل، ولا يتورعون عن إعلان ذلك فى كل مناسبة مطالبين بقوقعة الإسلام، وقصره على حالات «الدروشة» التى ظنوا – عمداً أو جهلاً – أنها هى التعبير الحقيقى عن انتشار الإسلام فى بلادهم.

لقد سبقت الماسونية زعماء العصر الذين يطالبون بفصل الدين عن الدولة (لا سياسة فى الدين، ولا دين فى السياسة)، إذ كانت مجلة «أكاسيا» الماسونية الإيطالية هى التى حملت راية هذا الشعار الكاذب.

ويقول الدكتور محمد على الزعبى فى كتابه «الماسونية فى العراء» عن موقف الماسون من الإسلام بأنه قد سمع بنفسه بعض خطباء المحافل الماسونية فى بيروت يقول:

«إن القرآن من حسنات الماسون، إذ أملاه الأستاذ الأعظم بحيرا الراهب على محمد».

• علاقة الماسونية باليهود وإسرائيل:

بينت فيما سبق أن الماسونية منذ ظهورها فى منتصف القرن الأول الميلادى تحت اسم القوة الخفية إنما انشئت على أيد يهودية بحتة، واستمرت عضويتها قاصرة على اليهود، ولكن مع تطور العقول المدبرة رأوا اشتراك غير اليهود للاستفادة منهم وتوجيههم حسب مخططاتهم، ورأينا بعض علماء المسلمين قد انضم إلى هذه الحركة، مثل الشيخ محمد عبده والشيخ محمد أبو زهرة وغيرهما، ولكن انفصلوا عنها عندما عرفوا مقاصدها الحقيقية، وهناك من سقط فى شراكها ولم يتحرك.

ورأينا أن الهدف الرئيس لهذه الحركة إنما هو محاربة النصرانية والإسلام والاستيلاء على العالم ثم تأسيس مملكة يحكمها أحد نسل داود.

فالعلاقة بين اليهود والماسونية إذن هى علاقة الأم بابنها، وهى لا تقبل الشك أو الجدال.

وقد كتب محرر انجليزى يقول :

«إن الماسونى إن لم يكن يهودياً بالولادة، إلا أنه رجل متهود»

وقد عبر هولت زنكر رئيس محاكم فينا عن هذا الرأى بسخرية فقال :

«إن من بين الماسونيين المائة، مائة واثنان من اليهود».

ويقول جول ليمتر :

«إن التساند والاتحاد الملحوظين بين ماسونى العالم يرجع إلى كثرة العناصر اليهودية بينهم».

ولكن .. كيف استغلت إسرائيل المعاصرة هذه الحركات الماسونية؟!

يقول الماسونى يوسف الحاج :

«الماسونية وسيلة استغلال، وواسطة كبيرة من الوسائط التى استخدمها ويستخدمها اليهود لإنشاء وطنهم القومي».

أما القطب الماسونى عبد الحليم إلياس الخورى فى كتابه «الماسونية» فيقول :

«الماسونية الملوكية مبدؤها وتعاليمها ودرجاتها وغايتها ترمى إلى تقديس ما ورد فى التوراة، وإعادة هيكل سليمان، ويفسرون الرموز بما يروق لهم».

ويوضح لنا الدكتور الزعبى كيفية استغلال إسرائيل للماسونية فيروى لنا أن المحفل الإسكوتلاندى فى الإسكندرية عام ١٩٥٦م قد قام بما قامت به سفينة التجسس الأمريكية (ليبرتي) عام ١٩٦٧م.

وبالإضافة إلى ذلك يبدو تأثير الماسونية واضحاً على الانتخابات والترشيحات الواقعة فى مناطقها، وتعمل بنفوذها وتغلغلها فى الأوساط المختلفة على إنجاح أبنائها والتابعين لها، ومن هذا الطريق تسيطر إسرائيل على الولايات المتحدة والدول الغربية المكتظة بالمحافل الماسونية.

أما أبرز صور الماسونية فى العصر الحديث، وباعتراف المصادر الإسرائيلية، فهى منظمات الروتارى والليونز وبنى بريت، وقد حلت محل المحافل الماسونية، وبخاصة فى البلدان التى أغلقت هذه المحافل، وجرّمت الانتماء إليها.

الكيبوتز

سنحاول بعون الله تعالى أن نقدم من خلال هذه الزاوية بعض البدع الصهيونية اليهودية الإسرائيلية التى ترجمها خلفاء أصحاب السبت على أرض فلسطين، فى محاولة متواضعة لتبصير القارئ العربى ببعض المفاهيم اليهودية التى تقرع آذانه وقد يغمض عليه كنهها.

ومن هذه المفاهيم : الكيبوتز.

والكيبوتز نوع من المستوطنات الزراعية لا يعرف الملكية الخاصة؛ فالأرض ملك للصندوق القومى اليهودى المعروف بـ«كيرن كايميت» أو ملك للدولة.

ويعود مفهوم الكيبوتز إلى الاشتراكيين الفرنسيين وبصفة خاصة إلى برودون وفوربيه، حيث ابتكر الأخير مفهوماً يجمع بين مفهومى كتيبة العمال ومفهوم الدير الذى يعتمد على الانغلاق.

وقد ظهرت الكيبوتزات مع وصول الهجرة اليهودية الثانية فى أعقاب الثورة الروسية، وقد وجد آباء الصهاينة فى هذا النوع من الاستيطان ما يساعد على تحقيق الحلم الصهيونى إذ كان من الضرورى فى نظرهم إيجاد نوع من الإشراف المركزى على حركة الاستيطان وعلى المهاجرين.

ومما لاشك فيه أن الصهاينة الأوائل كانوا يرغبون فى طبع الوجود اليهودى فى فلسطين بالطابع الاشتراكي، وقد شهدت الكيبوتزات الأولى دروساً فى الماركسية جنباً إلى جنب مع دروس التاريخ اليهودي، مما يؤكد لنا حقيقة أن الشيوعية ليست سوى نبتة يهودية صهيونية خبيثة.

أما أول كيبوتز شهدته الأراضى الفلسطينية فقد تأسس فى عام ١٩٠٩م على ضفاف بحيرة طبرية واسمه داجانيا، وكان ليفى اشكول أحد زعماء أصحاب السبت

المعاصرين ورئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق أحد مؤسسيه، كما ولد فيه موشى ديان وزير حرب إسرائيل إبان حكومة المعراخ ثم وزير خارجيتها فى عهد ليكود.

وللكيبوتز مكانة مهمة فى المجتمع الإسرائيلي، فهو نموذج للمدرسة الصهيونية اليهودية، وهو ماكينة تفريخ تنتج لنا أفراداً صهاينة قلباً وقالباً، ويمكن أن نلقى بعض الأضواء حول ما يقدمه الكيبوتز للمجتمع الإسرائيلى على النحو التالى :

بلغ عدد الكيبوتزات حتى أواخر السبعينيات ٢٣٠ كيبوتزاً، يعيش فيها حوالى مائة ألف يهودى أى ٣٪ من مجموع السكان تقريباً.

ويمثل إنتاج الكيبوتزات ١٥٪ من إنتاج إسرائيل القومي، ٣٧٪ من إنتاجها الزراعي، ١٠٪ من انتاجها الصناعي.

ونظراً للطبيعة القاسية التى يربى عليها يهود الكيبوتزات، فإن نسبة وجودهم بالجيش عالية، وكانت نسبة تواجدهم فى سلاح الطيران الإسرائيلى حوالى ٥٠٪ من مجموع الطيارين، إلا أن قائد سلاح الطيران الإسرائيلى عاموس لابيدوت قد أشار فى مقابلة أجريت معه مؤخراً إلى أن عدد الكيبوتزيين فى الطيران الإسرائيلى آخذ فى التناقص والتقلص.

وقد بلغ عدد الضحايا الكيبوتزيين فى حرب الأيام الستة وحدها حوالى ثلث مجموع الضحايا الإسرائيليين.

ويرى كثير من الصهاينة أن مشروع الكيبوتز قد أثبت فشله لأنه عجز فى العصر الراهن عن جذب المهاجرين الجدد، ويتضح هذا الفشل أيضاً فى مجموع سكانه الذى لا يتعدى - كما أشرنا - ٣٪ من الإسرائيليين.

أما وسائل تمويل هذه الكيبوتزات فهى تتمثل فى قروض الوكالة اليهودية والمصارف الكبرى بالإضافة إلى المساعدات الجليلة من الحكومة التى تدرك أهمية وجود هذه البؤر الصهيونية.

وأوجه الاستثمار فى هذه الكيبوتزات تشمل الفروع الزراعية والصناعية، حيث تزرع الحبوب والقطن والفول السودانى والخضار، كذلك تربى الماشية والطيور، كما تقوم عدة صناعات متنوعة فى الكيبوتزات.

وإذا نظرنا إلى الاتجاهات السياسية التى تنتمى لها هذه الحركة الاستيطانية الصهيونية وجدناها متباينة، اذ تخضع الكيبوتزات لعدة منظمات وأحزاب واتحادات أهمها ما يلى :

١- اتحاد الكيبوتزات التابع لكتلة ماباى فى حزب العمل ويخضع له حوالى ٧٥ (كيبوتزا) تضم حوالى ثلاثين ألفاً من السكان. وقد تأسس هذا الاتحاد عام ١٩٥١م، وله بعض الكيبوتزات فى الأراضى المحتلة.

٢- الكيبوتز القُطرى ويتبع لحزب المابام ويشمل ٧٥ كيبوتزاً تضم ثلاثين ألف نسمة وخاصة فى هضبة الجولان. وقد تأسس الكيبوتز القطرى عام ١٩٢٧م.

٣- الكيبوتز الموحد ويرتبط بكتلة أحدوت هعفودا فى حزب العمل وله ما يقرب من ٥٦ (كيبوتزا) تضم حوالى خمسة وعشرين ألف نسمة. وقد تأسس أيضاً عام ١٩٢٧م.

٤- الكيبوتز الدينى وهو تابع لحزب المفدال (الحزب الدينى القومي) حالياً، وله حوالى ١١ (كيبوتزا) يسكنها أربعة آلاف نسمة، وقد تأسس عام ١٩٣٥م.

وهناك أحزاب وتنظيمات أخرى تشرف على بعض الكيبوتزات وقد اكتفيت فى الإشارة السابقة إلى أهمها وأكبرها.

وعلى الرغم من أن الكيبوتز مازال يحتفظ بأهمية فى الحياة الإسرائيلية، إلا أنه يمكن القول بأن هذا الكيبوتز قد بدأ يضمحل إثر التناقضات التى بدأت تبرز بين أعضائه وفرضتها متغيرات ومتطلبات العصر.

فهناك حالة من عدم التكيف مع نمط الحياة الكيبوتزية، ولعلها تبرز أساساً فى دور المرأة التى باتت تفضل أعمال الخدم على الأعمال التى تفرض عليها فى الخدمات الجماعية وتسلبها أنوثتها وأمومتها.

كما ظهرت مشكلة «استثمار الإنسان للإنسان» الناتجة عن فائض العمال والأجراء، وهى نقيض المفهوم الكيبوتزى وقد تؤدى - إذا تفاقمت وزادت حدتها - إلى تقويض النظام الكيبوتزى برمته.

وبعد .. فهذه صورة موجزة لمفهوم يهودى صهيونى لم يعرفه أحد سوى هؤلاء القوم.. فهو وليد عقولهم الاستيطانية، وهناك العديد من هذه المفاهيم الشاذة سنعرض لها بإذن الله.

الموشاف

الموشاف قرية زراعية متطورة فى إدارتها تأسس على أيدى مؤسسى كيبوتز دجانيا. وقد أنشئ أول موشاف عام ١٩٢١م تقريباً فى مرج بن عامر.

وتقوم فكرة الموشاف على الأفكار والأسس الآتية :

١- الملكية الخاصة لقطعة الأرض المستأجرة من الحكومة.

٢- العمل الشخصى ورفض العمل المأجور.

٣- التسويق المشترك للإنتاج والملكية المشتركة للآلات.

وهناك عوامل مشتركة بين الكيبوتز والموشاف، فهما يعتمدان على الأراضى المستأجرة من الحكومة أو الصندوق القومي، كما يعتمدان على الوكالة اليهودية والمؤسسات الحكومية فى التمويل وفى توفير الميـــاه والآلات المطلوبة، كما أن لهما علاقة وثيقة بالهستدورت، حيث يسوق لها المنتجات الزراعية عن طريق التعاونيات التابعة له.

وقد ظهر فى الثلاثينيات نوع وسط من الموشاف، وسط بين الكيبوتز والموشاف واتخذ له اسم «موشافيم شيتوفيم» أى المستوطنات الزراعية التعاونية، ويعتمد على الاستثمار الجماعى مثل الكيبوتز، والحياة العائلية المستقلة ذاتياً مثل الموشاف.

أما الحياة العائلية فى الموشاف، فيمكن أن نقول عنها إنها أكثر انفتاحاً، وأقل ثورية وأيديولوجية عن حياة الكيبوتز.

فكل عائلة فى الموشاف تمتلك بيتها الخاص، حيث يوجد قريباً منه زريبة وقن لتربية الحيوانات والدواجن، ويملك الفلاح خارج الموشاف أراضٍ زراعية يقوم باستثمارها بنفسه هو وعائلته.

ونظراً لانفتاح الموشاف عن الكيبوتز، فقد لاقت الموشافيم قبولاً لدى الكثيرين خاصة المُسرَّحين من الجيش الإسرائيلى الأمر الذى جعل بعض الحركات الكيبوتزية مثل «هابوعيل هامزرحي» تتحول إلى هذا النوع من المستوطنات الزراعية التعاونية.

ويمكن القول إن أكثر هذه الموشافيم قد تم تأسيسه فى أعقاب قيام إسرائيل على أيدى اليهود القادمين من المغرب وتونس.

ويبلغ عدد الموشافيم حالياً حوالى ٣٨٠ موشاف، منها ٢٦ موشاف شيتوفي، ويصل عدد سكان الموشافيم حوالى ١٣٠ الف نسمة، أى حوالى ٤ ٪ من السكان الإسرائيليين.

ومستقبل الموشافيم يطرح هو أيضاً قضايا مهمة فى الأوساط الصهيونية إذ أن الموشاف يواجه انحرافات فكرية أيديولوجية تحيد به عن الطريقة التى تأسس عليها، ومن هذه الانحرافات ما يلى :

١ – تفضيل الحصول على وظيفة بالأجر واستقدام العمال من العرب والبدو لزراعة البساتين.

٢ – صعوبة عملية التصنيع بسبب تركيب الموشاف الأكثر فردية.

٣ – قضية الإرث، حيث يفضل الشباب من الجيل الجديد إحداث موشاف جديد على البقاء فى الموشاف القديم إن كان لهم ميراث.

٤ – تحول العديد من الموشافيم من الحقل الزراعى الذى بنيت عليه فى الأساس إلى حقول أخرى كالسياحة مثلاً.

وقد تكون هذه الانحرافات – ولو على المدى البعيد – من العوامل التى تهدم هذه الأسطورة الصهيونية التى تتباهى بها إسرائيل، وتفتخر بها أمام العالم، بل والتى باتت تصدرها إلى الدول الافريقية، حيث ترسل إليها الخبراء وتمدها بالدعم اللازم باعتبار أنها رائدة فى هذا المجال الاستيطاني.

وكما ارتبطت الحركة الكيبوتزية بالأحزاب والمؤسسات، ارتبطت أيضاً حركة الموشافيم بالعديد من الحركات الاستيطانية مثل :

١ - حركة الموشافيم التابعة للهستدورت، وهى تابعة لحزب العمل ولها أكثر من ٢٢٠ موشاف.

٢- حركة الموشافيم المرتبطة بحركة «هابوعيل هامزرحي» التابعة للحزب القومى الدينى المعروف بالمفدال، ولها حوالى ٦٠ موشاف.

٣- حركة حيروت، وهى حركة يمينية، ولها ١٨ موشاف.

٤- حركة العامل الصهيونى التابعة لليبراليين المستقلين ولها ١٨ موشاف.

٥- حزب عمال أجودات إسرائيل وله ١١ موشاف.

٦- الاتحاد الزراعى وهو منظمة تعاونية لصغار المزارعين ولها ٣١ موشاف.

كما توجد بعض الموشافيم المستقلة والتى لا تخضع لأى حركة استيطانية أو حزب سياسي.

هذه لمحة موجزة عن مفهوم يهودى صهيونى ظهر خلال القرن العشرين، فى محاولة صهيونية لإظهار إسرائيل بمظهر فريد فى العالم.

الهستدروت

هو الاتحاد العام للعمال اليهود بفلسطين، تأسس عام ١٩٢٠م في حيفا، ولعب دوراً رئيساً في قيام إسرائيل وأعطاها طابعها الاشتراكي، وقد ضم منذ إنشائه قطاعاً كبيراً من السكان اليهود، وتحول إلى أقوى المؤسسات اليهودية على المستويين السياسي والاقتصادي.

ويمكن القول بأن هذا الهستدروت لا مثيل له في تاريخ الحركات النقابية العمالية في العالم، فهو يقوم بعدة وظائف ونشاطات تجعله بمثابة دولة داخل دولة.

فالهستدروت يؤدي وظيفة الاتحاد المركزي للنقابات، ومكتب التوظيف والمقاول، كما له نشاطات واسعة المدى في مجالات عديدة كالمواصلات والتأمين الصحي والصناعة والبناء وغيرها، ومن مجالات عمل الهستدروت الخصبة تأسيس الكيبوتزات والموشافات.

وللهستدروت قوة رهيبة استمدها من دوره وتداخله في شتى نواحي الحياة، ومن عدد أعضائه الذين بلغوا قرابة مليون ومائة وواحد وستين ألف عضو حسب إحصاءات عام ١٩٧٢م.

وعندما نقول إن الهستدروت هو اتحاد للعمال، فلا يعني هذا أنه يضم العمال اليدويين فقط وإنما أعضاؤه أيضاً من الموظفين وأصحاب المهن الحرة والجامعيين بل والفنانين.

ويتدخل الهستدروت في تسوية نزاعات وخلافات العمل وفي توقيع العقود الجماعية، وقد مكنته صلاحياته من تحسين أحوال العمال ورفع مستوى معيشتهم.

ويقيم الهستدروت علاقات مع الاتحادات العمالية خارج إسرائيل، وله دور بارز في منظمات العمل الدولية، كما يمارس نشاطاته في بعض بلدان آسيا وأفريقيا تحت ستار المساعدات لدول العالم الثالث.

وهكذا نجد أن هذا النمط من المفاهيم اليهودية الصهيونية فريد من نوعه، ولِمَ لا، وهو خلاصة أفكار أصحاب السبت.

صقـور وحمائـم

من المصطلحات الخاصة بالفكر الصهيونى الإسرائيلى المعاصر، والتى نسمعها كثيراً عبر وسائل الإعلام الإسرائيلية كلمة الصقور، وكلمة الحمائم.

وهذان المصطلحان عائمان متداخلان فى غيرهما من المفاهيم الصهيونية، لدرجة تجعل من الصعوبة أن نحدد ما إذا كان رابين أو ديان مثلاً – وهم من أشهر الزعماء الإسرائيليين – من الحمائم أو من الصقور.

وللوهلة الأولى يفهم السامع أو القارئ لهذين المصطلحين أن الصقور أكثر تشدداً من الحمائم، فالصقر مفترس، والحمامة وديعة بل ورمز السلام، وشتان ما بين صهاينة هذا القرن وبين السلام ورموزه.

ويرتبط كل من مفهوم الصقور ومفهوم الحمائم بأيديولوجيات عتيقة فى الفكر اليهودي، مثل خرافة أرض الميعاد، وإسرائيل الكاملة، وبمعنى أدق يرتبط المفهومان بمسألة الحدود الإسرائيلية بالدرجة الأولى، وربما هى التى خلعت هذين اللقبين على أصحابهما.

فبالنسبة للحدود الإسرائيلية هناك تياران متنازعان منذ ما قبل قيام إسرائيل، ومن الوهم أن نصف أحدهما بالتساهل مقابل الآخر. إنهما تياران عقديان يستمدان أسسهما وجذورهما من التوراة التى تحدد أرض إسرائيل بأنها أرض الميعاد.

جاء فى سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم : «لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» فقرة ١٨ الإصحاح ١٥ .

ووفق هذا الوعد، فإنه ينضم إلى إسرائيل الكبرى الكاملة لا الضفة الغربية وشرق الأردن وحسب، وإنما لبنان وسوريا بل وجنوب تركيا أيضاً.

ومعنى هذا أن إسرائيل لم تحقق بعد الخارطة اليهودية التوراتية، ولكن الدلائل تشير إلى أنها لم تطرد عن أذهانها هذه الفكرة على الإطلاق.

فمن زعماء الحمائم المزعومين خرجت حرب ١٩٦٧م، وأضيف إلى إسرائيل أربعة أضعاف مساحتها، وبذلك خطت خطوة بل وخطوات نحو تحقيق الخارطة التوراتية.

ثم جاء بيجن وهو بلا شك أكثر شراسة من أى صقر، ليضم الجولان ويحتل لبنان.

إذن نحن نجد أنفسنا أمام فريقين صهيونيين، أحدهما يتمسك بضرورة تنفيذ الوعد الإلهى لإبراهيم (عليه السلام)، ومن ثم امتداد الحدود الإسرائيلية من النيل إلى الفرات، ويرون فى الأراضى المحتلة أراض محررة، وعلى رأس هؤلاء يمكن أن نجد المتدينين اليهود أمثال الحاخام كهانا وشلومو جورن وجنولا كوهن.

وثانيهما لم يكن لديه على الإطلاق فكرة مسبقة عن حدود الوطن القومى اليهودى الذى وعد تصريح بلفور بتأسيسه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، لذلك رضى هذا الفريق بحدود الدولة القائمة، وظهر بصورة المتساهل، بينما هو فى الواقع يؤيد بصورة أو بأخرى التوسع والامتداد إشباعاً لرغبات نفسية استعمارية.

إذن يجب أن ندرك على ضوء هذين المفهومين حقيقة قد يجهلها أو يتجاهلها الكثيرون وهى أن الصهاينة، صقورهم وحمائمهم، يُجمعون على قضايا لا تقبل النزاع، إنهم متفقون على السيطرة على الأراضى العربية المحتلة، وعدم قيام دولة فلسطينية وعدم الاعتراف بأدنى الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني.

أما ما نسمعه من بعض التصريحات التى يلهث وراءها السذج منا، مثل تصريح أحد الإسرائيليين بإقامة حكم ذاتي، أو عودة بعض اللاجئين إلى فلسطين، إنما هو من قبيل المناورة لاكتساب مواقف انتخابية، أو تعاطف الدول الأجنبية. وكلما زادت الضغوط الدولية لحل القضية الفلسطينية كلما سمعنا بهذه الأصوات التى تسعى إلى الصيد فى الماء العكر.

يجب أن نعلم أن نسبة المؤيدين بين الإسرائيليين للعودة إلى حدود عام ١٩٦٧م والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى لا تصل إلى ١٪ من سكان إسرائيل، لأن هذه الصيغة تعنى عودة مليونى عربى فلسطينى إلى ديارهم، أو إقامة دولة متعددة القوميات والأديان تقف فيها منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة مع ليكود والمعراخ، ولا يوجد أى اسرائيلى يدعى أنه حمائمى على استعداد لتحمل وزر تحقيق هذه الصيغة، سوى ثلة لا تتجاوز المئات من المثقفين الذين لا حول لهم ولا قوة.

وأخيراً يمكن القول - بنفس مطمئنة - إنه إذا كان لابد لنا من تقسيم المواقف الصهيونية المعاصرة إلى فريقين محددين، فمن المستحيل أن ينطبق عليهما تعريف الصقور والحمائم، ولعل أنسب ما يمكن أن نقوله عن هذين الفريقين أنهما صقور وغربان، كلاهما لا يحيا ولا ينمو إلا بأسلوب الخطف وافتراس الضحايا، ولا يمكن ان يستمر أحدهما دون الارتواء من دماء البشر، والبشر هنا هم المسلمون : فلسطينيون وغير فلسطينيين، والواقع يشهد بذلك ويؤكده.

تلمـود اليـهود

(١)

يحظى كتاب التلمود بتقديس واحترام اليهود إلى درجة جعلت منه المصدر الرئيس للفكر الصهيونى المعاصر، ولعلى لا أبالغ إن قلت إن التلمود هو منبع الشرور اليهودية والصهيونية التى يكتوى بها العالم فى العصر الراهن.

أما كلمة التلمود فتعنى فى اللغة العبرية التعاليم، وكم أتمنى من أعماق قلبى أن نرى ترجمة عربية ذائعة لهذه التعاليم الخبيثة، ولست أدرى كيف تسعى الصهيونية إلى نقل مؤلفاتنا التى تفيدها : أدبية وسياسية واقتصادية، فى الوقت الذى لا نلقى نحن فيه بالاً على مخططاتهم وما تحمله من بذور الدمار للبشرية جمعاء.

على أى حال، سأحاول فى هذه الزاوية أن ألقى ضوءاً بسيطاً على هذا الكتاب، الذى وضعته مجموعة من أحبار اليهود، وهذا أضعف الإيمان.

يتكون كتاب التلمود من قسمين مهمين هما :

١- المشناه : وهى المتن أو الأصل.

٢- الجمارا : وهى شرح المشناه.

وتمثل المشناه اللائحة القانونية الأولى التى وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، وقد جمعها يهودا هاناسى فيما بين (١٩٠- ٢٠٠م).

أما الجمارا فهى اثنان : جمارا أورشاليم؛ وهى عبارة عن سجل لمناقشات حاخامات فلسطين حول شرح أصول المشناه، وقد جمعت عام ٤٠٠م، وجمارا بابل؛ وهى سجل مماثل لمناقشات علماء اليهود فى بابل، وتم جمعها عام ٥٠٠م تقريباً.

وقد كونت المشناه مع جمارا أورشاليم ما يسمى بالتلمود الأورشاليمي، كما كونت المشناه مع جمارا بابل تلموداً آخر يسمى التلمود البابلي، ولكل من هذين التلمودين طبعة مستقلة بذاتها.

ولكـــن : ما هـــي المشـــناه ؟

المشناه هى خلاصة القانون الشفهى الذى تناقله الحاخامات اليهود منذ ظهور حركة الفريسيين التابعين لأهواء النفس، وتعنى كلمة المشناه «القانون الثاني»، ويزعم اليهود أنها أنزلت مع موسى (ﷺ) في طور سيناء.

وتتكون المشناه من ستة أقسام أو مباحث تسمى «سيداريم» أى الأحكام وهى على النحو التالى :

١- زيراعيم (البذور) : ويتضمن اللوائح الزراعية فى إحدى عشرة رسالة.

٢- موعيد (الأيام المقررة) : ويحتوى على لوائح الأعياد والصيام فى اثنى عشرة رسالة.

٣- ناشـــيم (النســـاء) : ويتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور فى سبع رسائل.

٤- نيـــزيكيـــن (الأضـــرار) : ويشمل القوانين المدنية والجنائية فى عشر رسائل.

٥- كوداشـــيم (المقدســـات) : وهو عن قوانين الصلاة فى إحدى عشرة رسالة.

٦- تـــوهـــاروت (الطهـارة) : وهـــو عن قـوانين الطهـارة والنجـاسـة فى اثنتـــى عشـــرة رسالة.

ويبلـــغ إجمـــالى عـــدد رسـائل المشناه ثـــلاثاً وستين رسالة مقســـمة إلـــى فصول وجمـــل.

وهناك سفر مماثل للتلمود يسمى (ميدراش) ويجمع القصص والأحكام التى ألفها واختلقها الحاخامات اليهود بعد إتمام التلمود فدونوها فى هذا السفر خشية الضياع، على الرغم من أن تدوين التلمود نفسه قد استغرق قرابة ألف عام.

أما مؤلفو المشناه من اليهود فيسمون بالتنائيم، وواضعو الجمارا بالأمورائيم.

جاء فى دائرة المعارف اليهودية أن سلطة التلمود - كمستودع للقانون الشفهى - تعتبر سلطة إلهية، ومن هنا تعتبر تعاليم التلمود إلزامية وثابتة غير متغيرة.

والحياة اليهودية المعاصرة، مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية، فقوانين الحياة المختلفة مشتقة مباشرة من التلمود، بل إن صفات اليهودى المعاصر مستقاة من التلمود أيضاً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ليس كل اليهود بمؤمنين بهذا الكتاب الموضوع، فهناك طائفة (القرائية) التى ظهرت بين اليهود بعد ظهور الإسلام، وانتشرت فى بلاد فارس خاصة، ترفض التلمود تماماً ولا تعترف به، بل وترى فيه بدعة يجب القضاء عليها.

هذه نبذة سريعة عن تكوين هذا الكتاب اليهودى، إحدى بدع أصحاب السبت.

ولكن ماذا عن تعاليم التلمود؟ ماذا عن موقفه من الإسلام؟ ماذا عن موقفه من الحياة بوجه عام والفضائل بوجه خاص؟

هذا ما سنعرض له فى حديث آخر.

تلمـود اليـهود
(٢)

توقفنا فى المقال السابق عند تقسيم هذا الكتاب اليهودى، وعرضنا لأقسامه المختلفة ومحتوياته بشكل عام، موضحين تفاسير بعض هذه المكونات كالمشناه، والجمارا وغيرها.

وفى هذا اللقاء نمر مروراً سريعاً على تعاليم التلمود التى تخفى على كثير منا. ونقول فى البداية ما تقوله العرب فى أحد أمثالها : «من فاته اللحم، فلا يفوتنه المرق»، ومن فاته الاطلاع على تلمود اليهود، فلا يفوتنه قراءة بروتوكولات خبثاء صهيون والتى تعد أهم إنجازات التلمود فى العصر الحديث.

أما أهم الأهداف التى يدعو إليها ويروج لها فهى السيطرة على العالم بأسره استناداً على العهد القديم القائل : «كل أرض تمسها أخماص أقدامكم هى لكم» ويفسرون هذا القول بما يلى : «لكم حق التسلط على مطلق بقعة فى العالم».

وبناءاً على القول الأول، واعتماداً على التفسير الآخر، خرج أبالسة اليهود بنتيجة مهمة وهى : «إن دولة إسرائيل معدومة الجيران، ولها عاصمتان هما : مكة وروما».

والشبه شديد للغاية بين هذه النتيجة ونظرية الأمن الإسرائيلى التى لم تحدد بعد حدود إسرائيل، والتى تسمح بتمدد الجيش الإسرائيلى حسب قدراته وعلى حساب جيرانه. فما أخبث خلفاء أصحاب السبت.

وإذا انتقلنا من هذا المفهوم اليهودى الكلي، وأعنى به السيطرة على العالم، إلى نشاطات التلمود وتوجيهاته الأخلاقية، هالنا ما نجده من أوامر وإرشادات لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تصدر عن بشر أسوياء.

فعلى سبيل المثال : أدخل التلمود بعض التعديلات على نصوص التوراة. فقد جاء فى التوراة (لا تسرق) نهياً مطلقاً، لكن تلمود اليهود أضاف عليها (من اليهودي)، وبهذا أباح السرقة من غير اليهودي، بل جعلها واجبة، وهو أمر لا يمكن أن يصدر عن عقلية سوية.

وجاءت التوراة محرمة للربا والاستيلاء على أموال الآخرين بدون حق، لكن التلمود لم يعجبه هذا التحريم، ورأى أن ينقح النصوص التوراتية، وينسخ منها طبعة تضاف إلى قائمة الطبعات المحرفة، وتحمل بين سطورها إباحة للتعامل بالربا، والاستيلاء على أموال الآخرين من غير اليهود، ولتحدد بذلك قاعدة عامة للتعامل التجارى اليهودى الذى حافظ عليه خلفاء أصحاب السبت على مر العصور.

ولم تقتصر أخلاقيات التلمود على ما سبق، بل جعلت من قتل غير اليهودى واجباً دينياً يثاب عليه اليهودى من ربه.

هذا الموقف اليهودى تجاه الإنسان ينبع من النظرة الأساسية التى ينظرها التلمود للبشر. فجميع الناس – فى رأى التلمود – وثنيون وحيوانات وأفاعى وكلاب وخنازير وحمير، وما دامت هذه المخلوقات أقل طهارة من الجنس اليهودي، فمباح لهذا الجنس انتهاك أعراض هذه الحيوانات غير اليهودية.

ولست أدرى كيف تزعم إسرائيل، بل كيف تتبجح وتدعى أنها دولة حضارية تقوم على المبادئ الأخلاقية؟ قد يقصدون من ذلك أنها دولة حضارية تلمودية، تقوم بالفعل على المبادئ الأخلاقية التلمودية، فمفهوم الحضارة ومدلولات الأخلاق لدى اليهود يختلف تماماً عن سائر البشر.

وقد يسأل سائل : ما موقف التلمود من الأنبياء والأديان؟

أما بالنسبة لموقف التلمود من المسيح عيسى (ﷺ) فقد خصه بنصيب كبير من القذائف والشتائم وراح يخلع عليه أحقر الألقاب والأسماء. فهو فى التلمود ابن غير شرعي، وشرير، ومجنون، ومخبول وساحر ومشعوذ ووثنى ومضلل، ومدفون فى جهنم.

هـذا عـن شخصه، أما عن تعاليمه فهى كذب وهـرطقة ومستحيلة الفهم والإدراك.

وليـنظر المسيحيون إلى ما يقوله عنهم اليهود فى كتاب التلمود حتى يزيدوا من توثيق صلاتهم وعلاقاتهم بهم ويمدونهم بشتى أنواع الدعم والمساعدات.

يقول التلمود :

«إن المسيحيين وثنيون، أسوأ من الأتراك (المسلمين) وهم قتلة وزناه ونجسون ويشبهون الروث، وليسوا كالبشر بل هم بهائم وحيوانات وأبناء شيطان وأرواحهم شريرة ذاهبة إلى جهنم بعد الممات».

ولم يكن الإسلام ومحمد (ﷺ) بأحسن حالاً فى تلمود اليهود عن سابقيهم، وكلنا يعرف جذور الكراهية المستأصلة فى نفوس اليهود ضد الإسلام والمسلمين، منذ أن انبثق نور الحق فى المدينة المنورة.

وقد جاء فى التلمود ما يلى :

«حيث إن المسيح كذاب، وحيث إن محمداً اعترف به، والمعترف بالكذاب كذاب مثله، يجب أن نقاتل الكذاب الثانى كما قاتلنا الكذاب الأول».

وبعد، فهذه عجالة حول تلمود اليهود، وآمل أن أجد ذات يوم فى الأسواق ترجمة عربية لهذا الكتاب حتى نعرف تفاصيل خلاصة الفكر الشيطانى لخلفاء أصحاب السبت.

وبقى أن أنوه إلى أن طبعات التلمود الحديثة قد نقت، وحذفت منها أجزاء كبيرة منذ قرون، وبخاصة تلك التى تتعلق بالآخرين، وكان هذا الحذف فى أوروبا نتيجة ازدياد اضطهاد الغرب لليهود، ورغبته فى تخفيف حدة الكراهية لأصحاب التلمود.

الحمـــق اليـــهودى

فى مطالعة لى بأحد الكتب العبرية التى صدرت مؤخراً عن العسكرية الإسرائيلية استوقفتنى من بين خضم الأكاذيب التى يحفل بها هذا المؤلف الصهيونى بعض أقوال إمام أصحاب السبت فى العصر الحديث وأعنى به دافيد بن جوريون.

يقول بن جوريون فى معرض حديثه عن نظرية الأمن الإسرائيلى :

«إننا معشر اليهود نحدد لأنفسنا ما هو صالح لنا، وليس هذا فحسب، وإنما نحدد للعالم كله ما هو صالح له، وما هو غير صالح، ولن نتلقى أوامر من أحد، إننا نحدد للعالم ما هو صالح له لأن لنا الحق فى ذلك».

فى ظل ظروف الحياة المعاصرة والارتباطات الدولية المعقدة، لم يعد لدولة أو لشعب ما الحرية التامة فى اتخاذ ما هو صالح لهذه الدولة دون مراعاة للآخرين، وقد تتنازل الدول عن بعض مصالحها دون تفريط فى الحقوق بالطبع، من أجل أن يتم الوفاق الدولي، ويسير الركب، ويتحقق الانسجام فى الأسرة الدولية.

ولم يحدث على مر التاريخ أن أعلنت دولة ما عن حقها فى تحديد ما هو صالح للآخرين وما هو غير صالح، حتى فى زمن الاستعمار، لم تستطع أكبر قوة أن تملى إرادتها على الشعوب التى تستعمرها.

على الرغم من دناءة الاستعمار وقبحه، فقد كان يتذرع بحجج اقتنع بها العالم وقت سذاجته. إلا أن هذا الاستعمار البغيض، على الرغم من اختلاف مذاهبه لم يحتكر لنفسه الحق فى إملاء إرادته على الشعوب المقهورة التى كانت تحت سيطرته.

فما بال بن جوريون يضرب بكل المعايير الاستعمارية عرض الحائط ويخوّل لنفسه ما لم تتمكن الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى من تحقيقه؟!

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٩٧٨ بتاريخ ١٤٠٣/١١/١٢هـ الموافق ١٩٨٣/٨/٢٠م.

لو اكتفى بن جوريون بقوله إنهم معشر يهود يحددون لأنفسهم ما هو صالح لهم، لما كان هناك تعليق، على الرغم مما فى ذلك من مبالغة، فما أكثر المتشدقين اليوم بحرية الإرادة، وهى دمى تحركها القوى الكبرى كيف تشاء.

ولو اكتفى بن جوريون بقوله إنهم يحددون ليهود العالم كله ما هو صالح لهم، لقلنا: معذور هذا الابن، فهو من قوم يحملون دعوة سلام عالمية، يحملون مبادئ الخير للبشرية، يحملون الصهيونية حلم الفقراء والمساكين والمستضعفين!!

ولكن أن يمنح هذا الابن العاق «ابن جوريون» لنفسه ولقومه الحق فى تحديد ما هو صالح لهذا العالم ولتلك البشرية فهذه هى الطامة الكبرى.

أى حق لهذه الشرذمة التى عاشت طريدة منبوذة على مدى تاريخها لإعوجاج مبادئها، وقذارة أساليبها؟

وأى حق للصهيونية التى بنيت على أشلاء الأبرياء من عرب وعجم؟

لاشك أن بن جوريون يقصد من ذلك أنهم شعب الله المختار، فهم صفوة البشرية لتحقيق السلام والهداية للناس أجمعين.

لو كان هؤلاء اليهود حقاً صفوة، ودعاة للسلام والخير كما يزعمون، فمن الذى قام بالمجازر منذ الثورة الفرنسية وحتى مذبحة الخليل؟!

إن الحق الذى يدعيه بن جوريون لينبع من ضيق أفق وغطرسة وعنصرية تمتع بها أصحاب السبت على مر تاريخهم، إنه الحق المبنى على الإجرام.. الحق المبنى على أشلاء الضحايا.. الحق المبنى على الكذب والغش والخداع.

ولعله يقصد من وراء ذلك، أنهم بأموالهم يستطيعون منح أنفسهم هذا الحق، وهذا أيضا ضيق أفق، وغطرسة لا تخرج إلا عن أحمق مغرور.

مفهوم السلام
فى الفكر اليهودى

تناولت فى المقال السابق بعض كلمات زعيم أصحاب السبت فى القرن العشرين، دافيد بن جوريون، واستكمل فى هذا اللقاء فقرة اخرى جذبت انتباهى لما فيها من كذب وتضليل.

يقول بن جوريون :

«والان أقول باختصار : إن مبدأ سياستنا الخارجية أولا وقبل كل شئ : السلام، فهو ميراث اليهودية الذى نفخر به، وهو أمر حيوى للشعب اليهودى المشتت، إذ لاشعب مثلنا مشتت بين شعوب العالم، نحن بحاجة لاستيعاب المهاجرين وتطوير البلاد».

فى هذا المختصر المفيد تبرز قضيتان هما لب الصراع القائم فى منطقتنا الآن وهما : السلام، والمهاجرون اليهود.

أما السلام الذى يزعم بن جوريون كذباً وبهتاناً أنه مبدأ سياسة اليهود الخارجية، فإنه سلام خادع، لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يطلق عليه سلام. إنه ابتزاز ومداهنة. فاليهود طوال تاريخهم لم يعرفوا السلام. فقد أثاروا الاضطرابات أينما ذهبوا وحلوا، ودبروا المكائد والمصائب لخلق الله.

فمن وراء مذابح الثورة الفرنسية؟ ومن وراء قيام الحربين العالميتين؟ ومن وراء مذابح العرب والمسلمين؟

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٩٨٥ بتاريخ ١٤٠٣/١١/١٩هـ الموافق ١٩٨٣/٨/٢٧م.

إن اليهود لم يتركوا دولة إلا وتدخلوا فى شؤونها، وقلبوا أمورها وكادوا لها : الصين، اليابان، ألمانيا، فرنسا، بريطانيا، كل هذه الدول قد عانت من الإجرام اليهودى الذى يسميه بن جوريون : السلام اليهودى.

فلنقرأ معا تلك السطور للحاخام اليهودى جواشيم برنز عن السلام اليهودى : «أرجو أن يعمل كل فرد منكم بكل قدرته على الدعوة للسلام، وبغية تعميم الفكر أطلب إليكم أن تنقشوا على مصنوعاتكم ما يرمز إلى فضائل السلام، وما يحبذ الحفاظ عليه، فلتصنع مصانعكم كبريت السلام، وصابون السلام، وأقلام السلام... إلخ حتى نغرق الناس فى جو السلام، ولتقم أجهزة إعلامكم وصحافتكم بالإصرار على الدعوة للسلام، وتشيد بفضائله وحسناته، وتندد بالحرب وتعدد مساوئها وتهول ويلاتها، كى نخيف الناس من الحرب فى كل مكان، ونحرضهم على من يبحث عنها، وفى نفس الوقت نكون نحن قد أتممنا استعداداتنا، ووسعنا شبكات تجسسنا فى أجهزة الدول المعادية لنا وأوصلنا أبناءنا إلى مراكز الجاه والنفوذ فى كل مكان واستولينا على إدارات المؤسسات المختلفة، وهكذا ستصبح جميع أسرار أعدائنا فى متناول أيدينا، كما ستكون مقدرات بلادهم بين أيدى أنصارنا، عندها سنختار الزمان والمكان، لزج العالم فى حربه الثالثة ...».

هذا هو السلام اليهودي، ميراث اليهودية الذى يتحدث عنه بن جوريون، والذى تنطلق منه أسس السياسة الخارجية لإسرائيل الآن.

والأقوال والدلائل على دحض فرية زعيم أصحاب السبت كثيرة ودامغة، لأنها كلها مستمدة من الواقع، وربما مازال ضحايا السلام اليهودى بين ظهرانينا، ولهذا يكفينا النظر - إن هدانا الله إلى إمعان النظر - إلى ما حولنا لندرك المفهوم اليهودى لمعنى السلام.

وللإسرائيليين الحق أن يفتخروا بميراث يهوديتهم المحرفة، لأنهم وجدوا فى هذا الميراث ما يشبع رغباتهم وميولهم الدموية، فهم حقاً - كما قال بن جوريون لا شعب

مثلهم فى صفاتهم، ومكوناتهم النفسية والاجتماعية والأخلاقية، لا شعب مثلهم فى الدسائس والمكائد، لاشعب مثلهم فى الكذب والخداع والمداهنة.

والنقطة الثانية فى مقولة بن جوريون تتعلق باستيعاب المهاجرين ويبدو أن الإسرائيليين يحافظون دائماً على تنفيذ تعاليم كبار أفاقيهم ومجرميهمو لأنهم يوجهون كل قواهم فى العصر الحديث لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليهود، تحقيقاً لأهدافهم الصهيونية، وتنفيذاً لتعاليم زعمائهم.

وبعد، فهذا هو الفكر اليهودي، وهذا هو السلام اليهودى، وهذا هو الشعب اليهودي، والمطلوب منا أن نعمق فهمنا لهذه المصطلحات والرموز لنعى ما يحيط بنا، وما ينتظرنا من هذا الشتات.

حقيقة السلام المصرى الإسرائيلى

أجرى مؤخراً أول بحث استطلاعى من نوعه اشترك فيه طاقم إسرائيلى مع آخر مصرى وثالث أمريكى حول سبل ووسائل حل النزاع العربى الإسرائيلي، وقد تم فى هذا البحث استطلاع رأى ما يقرب من أربعة آلاف نسمة تمثل المصريين والإسرائيليين والفلسطينيين المقيمين فى إسرائيل وقطاع غزة والفلسطينيين المقيمين فى الولايات المتحدة، وروعى اختلاف نوعيات وطبقات هذه الآلاف الأربعة.

وقد جاءت فكرة هذا البحث من قبل البروفيسور ستيف كوهن من جامعة نيويورك وقامت وكالة التنمية الدولية التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية بتمويل البحث حيث بلغت تكاليفه حوالى مليون دولار.

أما أعضاء الأطقم فقد كانوا أساتذة من جامعات إسرائيل ومصر والولايات المتحدة، ويعتبر هذا البحث الأول من نوعه سواء من حيث اشتراك هذه الأطراف فيه، أو من حيث القطاعات السكانية التى خضعت للاستطلاع.

ولا يهمنا هنا من خطط للاستطلاع، ولا من أشرف عليه، ولا من موله، وإنما تهمنا بعض نتائجه لما لها من دلالات تدحض بعض المزاعم الضالة والمضللة.

وأول ما يقابلنا من نتائج هذا البحث هو أن ثلثى المصريين يرون حل النزاع العربى - الإسرائيلى فى إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضى الفلسطينية، وإعادة اليهود إلى مواطنهم الأصلية.

ومن هذه النتيجة تتضح لنا عدة نقاط :

أولاً : فشل الأسطورة القائلة بالسلام المصرى الإسرائيلي.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٧٤ بتاريخ ١٤٠٤/٦/١هـ الموافق ١٩٨٤/٣/٣م.

ثانياً : عدم تخلى المصريين عن موقفهم تجاه القضية الفلسطينية.

ثالثاً : إن اتفاق كامب يفيد لا يمثل رأى الجماهير المصرية.

كـمـا اتضح من البـحث أن ٢٦٪ من الإسـرائيليين يرون حل النزاع العـربي- الإسرائيلى عن طريق ضم الضفة الغربية إلى إسرائيل، وطرد العرب منها، بينما أيد ٥٪ فقط منهم قيام دولة فلسطينية.

ومن هذه النتيجة تتضح لنا عدة نقاط أيضاً :

أولاً : تطرف الإسرائيليين فى أفكارهم حول النزاع العربى الإسرائيلي.

ثانياً : إن اتفاقيات كامب ديفيد لا تمثل أيضاً رأى الإسرائيليين.

ثالثاً : فشل المزاعم الداعية إلى إمكانية التعايش السلمى بين اليهود والفلسطينيين.

رابعاً : إن نسبة المؤيدين من الإسرائيليين للحق الفلسطينى ضئيلة للغاية، وإنما تحاول بعض الجهات تضخيمها لأغراض دعائية، ولإيهام الرأى العام بإمكانية التعايش اليهودى العربي.

وعلى أى حال، فإن نتائج هذا البحث تعكس بصورة قريبة من الصحة الواقع الإسرائيلى والمصرى.

فالمصريون غير مقتنعين بهذا الإطار الخارجى المتمثل فى اتفاقيات السلام، وما تبعها من تبادل دبلوماسى محدود، ويشهد الواقع المصرى أن هناك عزوفاً واضحاً من الجانب المصرى عن الجانب الإسرائيلي، الأمر الذى جعل السلطات الإسرائيلية تشتكى سلبية السلام المصرى وتحاول تبرير ذلك بإجراءات السلطات المصرية المضادة، وكأنها تغمض عينيها عن حقيقة مشاعر المصريين تجاه اليهود.

أما الإسرائيليون فإن اتفاقيات العالم كله لا يمكنها أن تخفى نواياهم وأحلامهم والمتمثلة فى طرد من تبقى من العرب الفلسطينيين، وإقامة إسرائيل الكبرى. والواقع يشهد بذلك ويؤكد نتيجة هذا البحث وغيره من الأبحاث.

نعم.. لقد وقعت إسرائيل على اتفاق سلام مع مصر، وحكم ذاتى للفلسطينيين ولكن : من يقيم المستوطنات على الأراضى العربية؟

ومن يسجن ويعتقل العرب الفلسطينيين لأتفه الأسباب؟

ومن يهدم المنازل ويحرق المساجد ويغلق دور العلم؟

أليست حكومة هؤلاء المستوطنين والسجانين والمدمرين والمخربين هى التى وقعت على اتفاقيات كامب ديفيد بما تحويه بين سطورها من سلام صورى وحكم ذاتى شكلي؟

صدقونى سيبقى الإسرائيليون على ما هم عليه مهما تشدقوا بالسلام، ومهما وقعوا له من اتفاقيات.

وسيبقى العرب عرباً، مهما فرضت عليهم الظروف والأيام نعرات وشطحات تحلم بسلام عربى صهيوني.

فأصحاب السبت لن يتخلوا عن ميراث آبائهم وأجدادهم من الحقد والطمع، ويوهم من يعتقد غير هذا، والواقع يشهد بذلك ويؤكده.

الإسرائيليون وظاهرة اللااسماعيلية

بدأ الجدل الإسرائيلى حول نوعية العلاقة والتعامل تجاه الأراضى العربية المحتلة والفلسطينيين يتخذ منعطفاً جديداً، إذ بدأت الاعتبارات الأمنية الإسرائيلية تتجه فى طريق العنصرية.

لقد كتب إسرائيل هيس من جامعة بر إيلان مقالاً عنصرياً فى مجلة الطلاب، أوضح فيه ضرورة خروج الإسرائيليين جميعاً فى حرب مقدسة ضد عمالقة العصر الحديث، لابد من إحياء الجهاد اليهودى ضد الأعداء.

ويبدو أن نداء الحرب المقدسة واستباحة دم النساء والأطفال لا لسبب سوى أنهم عرب هو الموقف الموحد للمتدينين اليهود، بالإضافة إلى الحاخام كهانا والدوائر المتطرفة فى جوش إمونيم.

ونعرض هنا لمقال احتل صفحة كاملة فى صحيفة «شعريم» لسان حال حزب أجودات إسرائيل والذى حمل عنواناً مثيراً وهو «ليس لسفاكى الدماء حقوق فى أرض إسرائيل».

وموضوع المقال مفهوم تلقائياً من البداية، وهو قضية سفك الدماء فى إسرائيل وعلاقة العرب بهذا العمل.

ويحاول صاحب المقال تضليل القارئ عن طريق تزييف الحقائق التاريخية الثابتة، ويقع فى الضلالة والكفر والعصيان فينال من شخص أبى الأنبياء إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ومن شخص اسماعيل (عليه السلام) وأمه هاجر، ويردد مفتريات اليهود المسجلة فى كتبهم المقدسة، مشيراً إلى أسطورة أرض الميعاد الزائفة، زاعماً بأن أرض

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤٢٠٢ بتاريخ ١٤٠٤/٦/٢٩هـ الموافق ١٩٨٤/٣/٣١م.

إسرائيل هى ميراث أبناء أسحق لا أبناء إسماعيل، بل وينفى أن يكون الفلسطينيون المعاصرون من نسل إسماعيل (عليه السلام).

ويؤكد صاحب المقال على أنه ليس لإسماعيل ونسله أى حقوق فى أرض إسرائيل، ولن تكون لهم أية حقوق فى يوم من الأيام، وأن وجودهم على هذه الأرض لا يستند إلى قانون، ويجب أن يطردوا فوراً.

إن هذه النظرة العنصرية اليهودية التى بدأت تزدهر فى هذا العام تريد حل مشاكل القرن العشرين السياسية بناء على قصص التوراة والتلمود، وهى نظرة تثير السخرية من هذه الزمرة اليهودية.

وقد خرج إلينا يهودى أخر هو اسحق ماركوفيتس بوجهة نظر أخرى، تتمثل فى حل المشكلة العربية عن طريق السماء وقد كتب قائلاً :

«إن الأرض الإسرائيلية لابد وأن تلفظ كل ما هو غير طبيعى عليها، وهؤلاء العرب سافكو الدماء ليسوا بنبتة طبيعية من هذه الأرض، لذلك لابد من طردهم بعيداً عنها، فهذا هو قانون الطبيعة، وقد طردت هذه الأرض من قبل كل من سفك دماء شعب إسرائيل.

لا توجد أية خطة سياسية يمكن أن تحل المشكلة العربية فلا خطة ريجن ولا خطة آلون ولا خطة اليسار الإسرائيلى يمكن أن تحل هذه المشكلة».

وقد أضاف هذا الكاتب الموتور قائلاً :

«إن الوجود العربى على أرض إسرائيل هو مجرد وجود مؤقت، والمسألة ليست إلا مسألة زمنية، ولابد وأنهم سيخرجون فنهاية وجود نسل اسماعيل حتماً آتية، ونأمل ألا تطول هذه النهاية».

ويبدو أن إمكانية إيجاد رأى وسط بن أمثال هؤلاء اليهود، والآخرين الذين يتطلعون إلى العيش بسلام مع العرب، هى احتمال بعيد التحقيق.

تلك هى ظاهرة عام ١٩٨٤م فى إسرائيل، وهى التى يمكن أن نسميها بظاهرة «اللااسماعيلية» والتى تحاول أن تزور التاريخ وتزيف الحقائق، مثيرة النعرات العنصرية والطائفية.

إن الصهاينة والإسرائيليين قد دأبوا فى العصر الحديث على استغلال بعض الدعوات العربية والإسلامية لإظهارنا بمظهر المتوحشين تارة، ومظهر الإرهابيين تارة أخري، ومظهر المتخلفين تارة ثالثة، فضللوا الرأى العام، وملأوا آذانه بالترهات والأباطيل حول الإسلام والمسلمين والعرب، حتى بات الغربيون يرون فى لفظ الإسلام مرادفاً للإرهاب، ولفظ العرب مرادفاً للهمج.

فهل يعرف كتابنا وعلماؤنا ورجال إعلامنا كيفية الاستفادة من مثل هذه النعرات العنصرية، ومعاملتهم بالمثل، أم أننا ما زلنا نشغل أنفسنا بالفن والرياضة وحسب؟!

صراع الحضارات فكرة يهودية ١٠٠٪

صدام الحضارات أصبح حديث الساعة، ودخل ساحة الحديث عن هذه القضية الكثيرون ممن لا يجيدون النزال، الأمر الذى أدى إلى عملية «تشويش» فى عقل القارئ العربي، أتمنى لو نجحت هذه السطور فى إزالة الغبش عنه.

وأول ما نلاحظه هو الاختلاف المزمن فى تحديد مفهوم «الحضارة» بسبب حمى استيراد مفاهيم تم تعريبها بمصطلحات متداخلة فى بعضها، مثل (الثقافة)، الكلمة التي مازالت محل خلاف حتى فى منابعها الأصلية، حتى أحصى كوبير وكلوكهون ١٦٤ تعريفاً لها حتى عام ١٩٥٢، وهو نفس الوضع بالنسبة لمصطلح الحضارة، الذى تلبس بالمفهوم الأوروبى حتى خرج عن نطاقه ومحتواه العربي، وبات يعكس ارتباطاً بجانب من جوانب الرقى الإنسانى ممثلاً فى التقدم التكنولوجى بكل أبعاده المعرفية والتجريبية، متناسياً جوانب الرقى الأخرى التى يشملها المفهوم العربى للفظ.

لكن استقر المصطلح أخيراً على أن الحضارة هى : جملة الظواهر الاجتماعية ذات الطابع المادى والعلمى والفنى والتكنيكى الموجود فى المجتمع، وأنها تمثل المرحلة الراقية فى التطور الإنساني.

وإذا سلمنا بوجود حضارات متمايزة متباينة نتيجة تعدد الأنماط البشرية وتمايزها واختلافها تحقيقاً لسنة إلهية فى الخلق «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة» فإننا أمام تعددية حضارية، لابد أن تكون بينها علاقات تنافس أو تدافع، هذه العلاقات يراها البعض علاقات تنافس أو تدافع، ويراها البعض الآخر علاقات صدام، وعلاقات التنافس أو التدافع لا يتمخض عنها قضاء حضارة على أخرى، فهذا «القضاء» أمر يتعارض مع معطيات التاريخ الذى يقدم لنا صوراً من ذوبان حضارة فى أخرى نتيجة

نشر هذا المقال فى جريدة آفاق عربية، القاهرة ١٣/١٢/٢٠٠١م.

التفاعل لا الصدام، وأبرز أمثلة على ذلك ما يقدمه لنا التاريخ من تفاعلات بين الحضارات «الشرق أوسطية» القديمة : البابلية والآشورية والسومرية والكنعانية المصرية.. الخ.

لكن فكرة «الصدام الحضاري» التي لابد أن تقدم لنا «إبادة» حضارة لأخرى، هي فكرة مسطرة لنا في مفاهيم الأمم الأخرى، وهي تمثل في رأيي شذوذاً عقدياً وفكرياً يعود تاريخه إلى آلاف السنين.

وإذا أردنا أن نؤصل مفهوم «صراع الحضارات» الذى ساقه إلينا الأمريكي صموئيل هنتنجتون عام ١٩٩٣ في دراسته التى أعدت خصيصاً للمخابرات المركزية الأمريكية، فلابد أن نعود إلى جذوره اليهودية ومكوناته الفكرية والعقدية، وتراثه الديني الذى يشكل معظم تراث الغرب المسيحى كله.

والتراث الديني اليهودى يقدم لنا مفهوم صراع الحضارات وصوره من خلال تاريخ بنى إسرائيل المبنى فى أساسه على عقدة الاختيار الإلهى لهذا الشعب، ومن ثم تختفى أية إمكانية لوجود تعدد حضارى يمكن أن تحكمه قوانين التنافس والتدافع. عقدة الاختيار هذه لا تعترف بالآخر، ولا تقر بشرعية وجود حضارى آخر، ومن هنا كان الصراع اليهودى قديماً مبنى على بقاء «أنا» على حساب «الآخر» لا على بقاء «أنا» فى ظل وجود «الآخر».

بداية الصراع الحضارى بين «أنا الإسرائيلية» و«الآخر» المتعدد الأعراق نجدها تتجسد فى الوعد الإلهى لأبرام (إبراهيم) فى سفر التكوين (١٥/١٨-٢١) : «فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض : من نهر مصر إلى النهر الكبير؛ نهر الفرات. القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين».

وقد تكرر هذا الوعد الإلهى لإسحق بن ابراهيم (تكوين ٢٦/١-٥)، كما تكرر ليعقوب (إسرائيل) بن اسحق (تكوين ٣٥/٩-١٢).

وتتجسد فكرة إبادة «الآخر» حضارياً في النص التالي على لسان إله إسرائيل : «ولكن إن سمعت لصوته (ملاك الرب) وفعلت كل ما أتكلم به، أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك. فإن ملاكى يسير أمامك ويجئ إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم. لاتسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم. بل تبيدهم وتكسر أصنامهم». (تكوين ٢٢/٢٣ -٤).

ويتكرر مفهوم عدم «التفاعل الحضاري» و«إبادة الحضارات الأخرى» في كثير من المواضع التى تعكسها لنا النصوص اليهودية المقدسة، التى أسهمت بشكل أو بآخر في بناء العقلية اليهودية قديماً وحديثاً، كما أسهمت في تشكيل العقل الغربى بوجه عام. (انظر : سفر الخروج ١١/٣٤- ١٦؛ سفر التثنية ٢١/٣ -٢٢).

ويتكرر التحذير الربانى لشعبه «الخاص» من الاختلاط بأصحاب الحضارات الأخرى في أكثر من مناسبة. والقضية هنا ليست قضية إيمان ووثنية، لأنها لو كانت كذلك، لكان من الطبيعى أن يكون الأمر بدعوة أصحاب هذه الحضارات إلى الإيمان بإله بنى إسرائيل أولاً، فإن لم تكن الاستجابة، فإن الصراع مباح من أجل تحرير الإرادة الإنسانية في اختيار المعبود، دون فرض من حكام ادّعَوْا لأنفسهم الألوهية آنذاك :

«سبعة شعوب أكثر وأعظم منك ... فإنك تحرمهم (أى تبيدهم). لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم» (تثنية ١/٧ - ٣).

وبعد أن تمكن الإسرائيليون من الهروب من أمام الحضارة المصرية الفاعلة، بدأوا يطبقون مبدأ «صراع الحضارات» وإبادة الآخر، وخنق كل منفذ من منافذ قبول الآخر والتعايش معه، فكانت صراعات بنى إسرائيل مع «سيحون» ملك «حشبون» (تثنية ٣١/٢-٣٦)، ومع «عوج» ملك «باشان» (تثنية ١/٣-٨).

وجاء سفر يشوع كله ليجسد لنا تطبيق نظرية «صراع الحضارات» والقضاء على الآخر، حيث رفض بنو إسرائيل تماماً أى صورة من صورة التعايش الحضارى مع الأمم الأخرى، ولم يكن هذا الرفض خوفاً على عقيدتهم، فهم لم يحافظوا عليها خلال تاريخهم الطويل، وإنما لمجرد «كراهية الآخر» والاعتقاد الجازم بحتمية الصراع والقضاء

على شتى صور التحضر الإنساني، وهذا ما يعكسه سفر يوشع، إذ اتجه الصراع إلى إبادة كل مظاهر الحضارة الإنسانية للشعوب الأخرى ممثلة فى الأنفس والمبانى والمعابد بل وكل مظاهر الحياة على الأرض من شجر ونبات وحيوان ...

هكذا كانت صورة الصراع بين بنى إسرائيل وسكان مدينة أريحا :

«وحـرّمـوا (أى أبادوا) كل ما فى المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» (يشوع ٦/٢١)

وهكذا كانت نهاية حضارة مدينة «عاى» :

«ويكون عند أخذكم المدينة تضرمون المدينة بالنار» (يشوع ٨/٨)

وهكذا كانت نتائج «الصراع الحضاري» مع سكان سائر المدن التى فتحها بنو إسرائيل فى «الأرض الموعودة» : مقيدة، لبنة، حاصور، حبرون، دبير، عناب، جازر، لخيش، عجلون... الخ.

إن مبدأ «التعايش» مع الآخر غير وارد فى الفكر الإسرائيلى القديم، وهو ما ينعكس على ذات الفكر الإسرائيلى فى العصر الحديث.

الصراع الحضارى بين بنى إسرائيل والآخرين لابد أن ينتهى ببقاء طرف وفناء آخر، ولما كان الرب – إله إسرائيل – قد وعد «ابراهيم» العبرانى الأول فى التاريخ بالتغلب على الأمم والشعوب الأخري، فإن الإيمان قد رسخ فى نفوس الإسرائيليين بأن البقاء لا للأصلح، وإنما البقاء للشعب المختار.

لا غرو إذن من أن يخرج صموئيل هانتنجتون اليهودى بنظريته فى صراع الحضارات، فالرجل يعكس أصولية يهودية راسخة فى تراثه، ولا غرو – كذلك – أن يردد الغرب المؤمن بهذا التراث تلك المقولات التى تتنافى تماماً مع سنن الله تعالى فى خلقه.

الفصل الثالث

المفسدون فى الأرض

المفسدون في الأرض
(١)

ما من فساد ظهر على وجه البسيطة إلا وكان وراءه يهودي، سواء كان هذا اليهودى صهيونياً، أم إسرائيلياً، أم حاملاً للقب آخر، فالمهم أن حقيقته وأصله يرجع إلى هؤلاء القوم ولو بخيط بقيق.

والفساد اليهودى ليس وليداً للظروف الراهنة، وليس قاصراً على منطقة بعينها، وإنما هو قديم ملازم لوجودهم، ومنتشر انتشارهم الواسع - على الرغم من قلتهم - فى بلدان كثيرة، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً.

وفى هذه الزاوية التى اعتدنا أن نكشف فى كل حلقة منها قناعاً عن وجه، أو وجوه أصحاب السبت، سنعرض فى بعض المقالات بعض مظاهر الفساد، فى الماضى والحاضر، لنعلم من نواجه، وكيف نواجهه؟

والحديث عن الفساد الإسرائيلى والصهيونى فى عالمنا الإسلامى والعربى قد يكون مألوفاً ومدروساً وواضحاً للعيان، ومع هذا فلن أهمله وإنما سأعرض له فيما بعد، أما الغريب، والذى قد لانعلمه جميعنا هو وصول هذا الفساد إلى قطر دائرة، الكرة الأرضية، من أقصاه إلى أقصاه، فهو لم يترك مكاناً، لم يترك خط طول أو خط عرض - مع الاعتذار للجغرافيين - إلا حل به.

لقد قاست فرنسا من هذا الفساد، كما لحق الأخطبوط اليهودى بألمانيا وأسبانيا وأمريكا، ولم يترك المجر أو بولونيا أو رومانيا، بل وصل إلى الأدغال الأفريقية التى لم تستطع منعه بغاباتها الكثيفة وحيواناتها المفترسة، فنال من الحبشة وأريتريا والصومال وغيرها.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٣٢ بتاريخ ١٤٠٤/٤/١٨هـ الموافق ١٩٨٣/١٢/٢٤م.

وجــوه مــن الفســاد اليــهودى :

– يقول Edouard Draumont : فى كتابه LA FRANCE JUIVE «جاء اليهودى إلى فرنسا عام ١٧٨٠م ينشد عونها وحمايتها، وفى عهدى الثورة والإمبراطورية احتل كل ميدان فيهما وتوغل فى كل مكان، ولما عادت الملكية استولى على أفخم قصورها، وفى عهد نابليون الثالث شارك الفرنسى فراش الزوجية، أما فى ظل الجمهورية فشرع بطرده حتى من منزله ووطنه».

إن أحداث الثورة الفرنسية التى يتشدق بها الجهلاء على أنها دليل دامغ على انتصار المبادئ الرنانة الثلاثة التى نادى بها ثوار فرنسا، وهى الحرية والإخاء والمساواة، تلك المبادئ التى بنيت عليها الماسونية الحديثة، أقول إن هذه الأحداث تثبت أن اليهود خبراء فى استغلال الظروف، وخبراء فى قهر الشعوب، وأساتذة فى الإيهام والتضليل.

ولا أريد هنا الخوض فى تفاصيل أحداث الثورة الفرنسية، وإنما يكفى أن نصل إلى حقيقة مهمة وهى أن هذه الثورة لم تكن ثورة فرنسية صادقة، وإنما هى ثورة يهودية بحتة، دفع ثمنها المواطن الفرنسي، وجنى ثمارها المحتال اليهودى، وتشير بعض بروتوكولات خبثاء صهيون إلى الدور اليهودى البارز فى هذه الثورة المصطنعة.

ولا أملك إحصاءات لعدد ضحايا اليهود فى هذه الثورة، وإنما يكفى أن أشير إلى أن حاكم مدينة نانت – وهو اليهودى كارير – قد قتل ستة آلاف فرنسى بإلقائهم فى نهر اللوار، كما أبيدت مدينة مانس عن آخرها، واشتهر ممثل الثورة فى مدينتى مونتورناى وابيس بحرق النساء والأطفال فى أفران المدينة، وكان يهودياً بالطبع، أما الماسونى سان جوست فكان يسلخ جلود ضحاياه ثم يذيب جثث النساء فى القدور لاستخلاص شحومها.

وخلاصة القول : إن الثورة المسماة بالثورة الفرنسية قد وهبت الحرية لليهود وسلبتها من الفرنسيين.

وإذا انتقلنا من فرنسا إلى ألمانيا، وجدنا هذه الأخيرة لم تسلم من فساد اليهود يقول الألمانى لوثر :

وأيقنت أن اليهود أناساً غلاظ الأكباد، انحرفوا عن شريعة موسي، وزوروا كتبه وأقواله، أما معابدهم فما هي إلا مواخير للفسق والفجور، فيجب علينا إحراق كتبهم المزورة، وتدمير معابدهم القذرة لننقذ، شعبنا من خطرها..»

وقد أخذ الفساد اليهودى فى ألمانيا صوراً عقدية واقتصادية، فخرج بعض اليهود الألمان بمبادئ هدامة، وانتشر الإلحاد بين المسيحيين الألمان، وأدت الساقطات اليهوديات أدوارهن القذرة فى انحلال الأخلاق، وقصة اليهودية الشهيرة هنريت هيرز يعرفها الألمان جيداً وهى التى أفسدت آلاف الشباب الألمان، ونشرت بينهم الفسق والفجور، ومثيلاتها كثيرات، وربما اشتهرت هذه المرأة الفاجرة لأنها كانت ابنة لحاخام يهودي.

وجاء هتلر – ويا ليته يظهر فى هذه الأيام – وقد امتلأ حقداً وكراهية لليهود بعد أن اكتوى هو وشعبه وبلاده بنيرانهم، فانتقم منهم شر انتقام، وقضى على وجودهم بالمانيا.

والفساد اليهودى لم يقتصر على هاتين الدولتين، وإنما قد اخترتهما مثالاً لإحدى قارات العالم التى لم تسلم من سلوكيات اليهود، وهناك ما تقشعر له ضمائر الشرفاء فى بلدان كثيرة من هذه القارة، وكما قلت ما من مصيبة أخلاقية، أو اقتصادية أو اجتماعية وقعت فى العالم إلا وعليها بصمات اليهود وأذنابهم.

مرة أخرى اعتذر للجغرافيين إذ أننى قد قسمت الفساد اليهودى حسب الموقع الجغرافي، فتحدثت عن بعض بلاد أوربا، وسأتناول وجوه فساد أخرى فى القارات الأخرى بإذن الله تباعاً، ولكن، ما كان للعوامل الجغرافية من سبب فى هذا البلاء، وإنما هى مشيئة الله فى خلق الله.

ولنا لقاء جديد نعرض فيه لجرائم وفساد أصحاب السبت، فى موقع آخر من العالم، فحتى الملتقى أسأل الله لكم ولى السلامة من فساد المفسدين.

المفسدون في الأرض
(٢)

تناولت في المقال السابق من أصحاب السبت بعض مظاهر الإفساد اليهودى في الأرض، واقتصرت على بعض حالات في بعض دول قارة أوروبا فقط، واليوم نستكمل الحديث بعون الله، ونجوب معكم في جزء آخر من العالم لنستكشف مظاهر أخرى لهؤلاء القوم الذين تركوا آثارهم السيئة على تراب هذا الكوكب الذى نعيش عليه، ومن يدرى ربما تكون مفاسدهم قد وصلت إلى كواكب أخرى.

منذ أن ظهر الإسلام وقد أدرك اليهود خطره عليهم، إذ لم يعد لهم المكانة التى كانوا عليها، وإذا كان اليهود قد عادوا المسيح أشد العداوة وتآمروا عليه وعلى أتباعه وأنصاره، فإن حدة العداوة والبغضاء اليهودية للمسيحية قد تضاءلت بظهور الإسلام، وتحول العداء كله إلى الإسلام والمسلمين، بل لقد تناصر اليهود مع المسيحيين ووقفوا صفاً واحداً - مرجئين عداوتهم لوقت لاحق - كى يهدموا ذلك الدين بشتى الوسائل، فكانت المبادئ الهدامة والمعتقدات الباطلة التى حاولوا ترويجها باسم الإسلام، وانخدع لها السذج والجهلاء، ولما لم تفلح هذه الوسيلة لتعهد الله سبحانه وتعالى بحماية هذا الدين وحفظه، ما كان أمامهم سوى أتباع هذا الدين القيم، المسلمين فراحوا بكل ما يملكون من سموم وشرور وملكات وغرائز إفسادية، يكيدون للمسلمين، ويدبرون لهم المؤامرات بأنفسهم، وبأتباعهم من المسيحيين والأذناب والعملاء.

وطبقا للتوزيع الجغرافى للفساد اليهودي، فسيكون لقاؤنا اليوم فى تلك القارة السوداء، فى أفريقيا، ذلك العالم المجهول، الذى نجهله جميعنا، نجهل خيراته، نجهل خصائصه ومميزاته، نجهل من فيه وما يدور فيه، حتى ولو كان هؤلاء الذين يقطنونه من أتباع محمد (ﷺ).

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٤٦ بتاريخ ١٤٠٤/٥/٣هـ الموافق ١٩٨٤/٢/٤م.

لقد شهدت أفريقيا من المآسى اليهودية ما لم تشهده قارة أخري، فربما ما شهدته أوروبا لم يجد تأييداً ولا دعماً من أحد، لكن الوضع فى تلك القارة المغلوبة على أمرها يختلف تماماً عن أوروبا، لأنه فى أفريقيا تآمر اليهود والنصارى عليها، ونجحوا فى تعمية العالم كله عما يحدث هناك، فإذا كنا وجدنا حتى من يستنكر الإجرام اليهودى فى أوروبا، فقد فقدت أفريقيا من يناصرها فى وقت كان العالم الإسلامى فيه يغط فى نوم عميق، والحمد لله أننا قد أفقنا من ذلك النوم، وانتبهنا إلى ما تعانيه هذه القارة، والأمل كبير فى أن تكون صحوتنا نشطة وكافية للذود عن غابات افريقيا وأدغالها وحمايتها من التخريب والتدمير اليهودي.

وأول الأقطار الافريقية التى أعرض لها فى هذا المقام هو الحبشة التى يزيد عدد المسلمين فيها عن ٦٠٪، حكمهم الإمبراطور اليهودى الأصل هيلاسلاسى بالنار والحديد، حكمهم بمبادئ التلمود اليهودى التى تستبيح أعراض وأموال وممتلكات الآخرين من «الجوييم».

والمذابح التى قام بها اليهودى هيلاسلاسى - الذى يفتخر بألقابه اليهودية مثل أسد يهوذا - ضد المسلمين فى الحبشة تقشعر لها الأبدان، فقد حصد جنوده المسلمين فى مقاطعة القرالى وفى قرى قبائل رايا وفى سلطنة أوسا. كما دك أتباع ذلك اليهودى قرى كمباشا وجعلوها حصيداً.

أما مذبحة قرية جرسم فيصور لنا الأستاذ عبد الله التل فى كتابه (الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام) ما وقع فيها من جرائم يهودية على أيدى هيلاسلاسى المسيحى - تماماً كما حدثت فى صبرا وشاتيلا على أيدى الكتائب - إذ جمعوا الشيوخ والنساء والأطفال فى أكواخ من الأعشاب، وسكبت عليهم صفائح البنزين وأشعلت النار، فمات أكثر من خمسمائة برئ حرقاً على طريقة اليهودى ذى نواس وأصحاب الأخدود. حدث هذا عام ١٩٤٧م ولو كان هناك وقتئذ قنابل عنقودية أو فسفورية أو نابالم ما تردد هيلاسلاسى فى استخدامها.

لقد شهدت الحبشة أكثر من ذلك ولكننا - وأنا على ثقة من ذلك - نجهل ما أحدثه اليهود فى هذا البلد المسلم، لأننا لم نكلف أنفسنا عناء التوجه إلى هذه القارة ولو بأقلامنا.

أما أريتريا التى يزيد المسلمون فيها على ٧٠٪ من سكانها، فقد شهدت هى الأخرى مكايد اليهود ومفاسدهم حينما تواطأ هيلاسلاسى مع الإنجليز ضد شعب أريتريا المسلم، وشهدت هذه الدولة المسلمة موجات من اليهود الصهاينة فى عهد هيلاسلاسي، جاءوا تحت حماية أخيهم ليستغلوا ذلك البلد فسيطروا على أراضيه وخيراته.

وقد شهدت نيجيريا خطط التهويد المدعمة من قبل أذناب اليهودية، ووقعت مذبحة كبرى عام ١٩٦٦م راح ضحيتها أقطاب المسلمين السياسيين والعسكريين.

ولم تكن تشاد ولا السنغال بأحسن حالاً من نيجيريا أو أريتريا، إذ شهد كل من هذين البلدين العديد من المؤامرات اليهودية التى حاكها العقل اليهودى المتمرس فى هذا المجال، وطبقتها الأيدى المسيحية التى اعتادت التآمر مع اليهود ضد الإسلام والمسلمين.

ودع الكونغو وجنوب افريقيا على جنب، فربما نسمع عن الكثير من التعاون اليهودى مع العنصرية المتربعة والمستشرية فى هذه الأقطار الأفريقية.

ولقد شهدت زنجبار مذبحة رهيبة على نمط صبرا وشاتيلا ودير ياسين، إذ أوعز اليهود إلى إخوانهم فى الفساد القيام بمذبحة بهدف التخلص من المسلمين، وراح هؤلاء الأذناب ينقضون على مساكن المسلمين ومتاجرهم ويذبحونهم فى الشوارع والطرقات حتى قتل حوالى خمسة عشر ألفاً من الشباب والنساء والشيوخ والأطفال المسلمين فى يوم واحد، وكان وراء هذا الفساد أحد يهود الدونمة وهو عبيد كرامى، الذى راح ينشر أوجه الفساد اليهودى فى البلاد بعد أن قام بالمذبحة.

ولم يكتف النفوذ اليهودى بذلك، بل تم ضم زنجبار إلى تنجانيقا تحت اسم تنزانيا لإحكام القبضة على المسلمين، وإمعان السيطرة اليهودية على هذه البلاد.

إن الحديث عن الفساد اليهودى فى أفريقيا لا يكفيه مثل هذا المقام وما أردت هنا الحصر، وإنما هى أمثلة بسيطة سريعة تكشف لنا بعضاً من الفساد اليهودى ونشاط هؤلاء المفسدين فى قارة افريقيا التى تحملت الكثير ومازالت تتحمل، والعالم أعمى العينين، أصم الأذنين، مكتوف اليدين.

المفسدون في الأرض
(٣)

لا يعدم اليهود وسيلة يفسدون بها فى الأرض. فهناك أقوام تعامل بالحروب، وأخرى بالمبادئ، وكما ضرب اليهود مدناً وقرى ودولاً بالقنابل والدبابات والطائرات، فقد هدموا أمماً وأضاعوا أخرى بالأفكار والمبادئ والفنون..

وإذا كان الفساد اليهودى فى قارتى أوروبا وأفريقيا، والذى تناولته فى المقالين الماضيين، قد اتخذ المظهر العسكرى المتمثل فى القتل والذبح والتنكيل والتعذيب، فإن الفساد اليهودى فى قارة آسيا قد اتخذ بالإضافة إلى المظهر العسكرى مظهراً آخر فاق فى قوته رصاص البنادق وقنابل المدافع، وأعنى أسلوب المبادئ الهادمة.

وإذا نحينا الفساد اليهودى فى فلسطين (الواقعة فى قارة آسيا) لأننا نعيشه ونلمسه. فإننا سنعرض هنا لوجوه ذلك الفساد فى بعض دول تلك القارة التى عجزت هى أيضاً عن حماية أرضها وأبنائها من فساد اليهود.

ولنبدأ بتركيا :

استغل اليهود سماحة المسلمين الأتراك وراحوا يشوهون سمعة الدولة العثمانية وحكامها وينشئون المحافل الماسونية هنا وهناك لإفساد الشباب المسلم، مستخدمين فى ذلك شتى الوسائل والسبل التى لم يتوصل إليها إبليس منذ خلقه وحتى الآن، وعملت الجمعيات اليهودية من أمثال جمعية تركيا الفتاة والاتحاد والترقى عملها، وراحت تقوض دعائم الدولة التركية التى فتحت أبوابها لهؤلاء المفسدين.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٣٩ بتاريخ ١٤٠٤/٤/٢٥هـ الموافق ١٩٨٤/١/٢٨م.

وسنرى دور اليهود - فى مقال لاحق - فى الحرب العالمية الأولى من أجل إضعاف الدولة الإسلامية فى تركيا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تاريخ الافساد اليهودى فى الخلافة الإسلامية قديم، ويعود إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي؛ فالسلطان محمد الفاتح قد قتل على يدى طبيبه اليهودى يعقوب باشا، واغتيال أولاد السلطان سليمان القانونى وأحفاده دبرته إحدى اليهوديات.

لقد استخدم اليهود فى سبيل إفساد الخلافة الإسلامية أساليب عديدة منها يهود الدونمة والجمعيات السرية ودعوة القومية العربية وغيرها، وتم تتويج النشاط اليهودى بأتاتورك الذى استعان بعدد من اليهود حتى تم له تقويض الخلافة الإسلامية وأعلن العلمانية مكانها.

اليـهود وباكسـتان :

عندما قامت باكستان لتجمع شتات المسلمين المضطهدين فى الهند، راح الهنود يشككون فى قيامها ويسعون لضربها منذ قيامها، وتعاون الإنجليز واليهود والهنادكة، واستطاع هذا الثلاثى أن يقسم باكستان إلى دولتين شرقية وغربية مما سهل للهنادكة ابتلاع العديد من الإمارات الإسلامية مثل إمارة حيدر اباد، ثم كانت مشكلة كشمير المسلمة والتى تسبب فيها راد كليف اليهودى ومكن الهنادكة من الاستيلاء على كشمير التى يزيد عدد المسلمين فيها عن ٧٧٪ من مجموع سكانها.

وصلات الهندوس مع اليهود قائمة وقوية مهما حاول الهنادكة تضليل العالم، فالوقائع تثبت صدق قيام هذه الصلات.

اليـهود والصيـن :

لم يسلم شعب أبيض أم أسود أو أصفر من فساد اليهود، لم يسلم الشرق أو الغرب من فسادهم، حتى الصين قد اكتوت بنار اليهود.

ولا أحد يشك فى تدخل اليهود فى شؤون الصين، فالتاريخ يسجل النشاط المعادى للملكية والذى قام به السيونو ماسون فى الصين فى أعقاب المؤتمر الصهيونى (١٨٩٧م) وازدياد الجمعيات السرية المعادية للإمبراطورية.

ويذكر لنا السيد جواد أتيلخان عن دور اليهود فى الصين أنه بعد وقوع الثورة فى روسيا قام اليهود بتنظيم الفرق الشيوعية الصينية وقادوها فى نضالها ضد اليابان التى تخلى عنها اليهود بعد أن تحالفوا معها للقضاء على القيصرية الروسية.

ولا ننسى هنا الدور اليهودى فى الحرب العالمية الثانية، وانتقامهم من اليابان، والذى تمثل فى دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى معاقبة اليابان بالقنبلة الذرية.

اليهود فى العراق :

الشيوعية هى البنت البكر للصهيونية، وقد قام اليهود باستغلال الشيوعية لتحقيق أغراضهم، ليس فى العراق فحسب وإنما فى جميع بلدان العالم التى ابتليت بالشيوعية.

ومن المهم أن نعرف أن العراق قد شهد عدة مذابح كان الشيوعيون وراءها، فهناك مذبحة الموصل ومذبحة كركوك ومجزرة الضباط الأحرار، ومعلوم أن الحزب الشيوعى العراقى يتبع الحزب الشيوعى الإسرائيلي، وكان من أبرز شخصيات الحزب الشيوعى العراقى اليهوديان مناحيم دانيال وجلبرت.

كما كان الحزب الشيوعى الإسرائيلى يرسل المعدات والأموال لإخوانه فى الحزب الشيوعى العراقي، وقد اشترك العديد من اليهود فى مجازر الموصل وكركوك.

اليهود وإيران :

ودور اليهود فى إيران – فى الماضى والحاضر – غنى عن التشهير به، فما عاشته إيران فى الماضى، وما تعانيه فى الحاضر، ليس إلا ثماراً يانعة لجهود اليهود والصهيونية.

لا أجد شعباً أو دولة سلمت من إفساد اليهود، سواء بالحرب أو التدمير والتخريب، وما عرضت له على مدى ثلاث مقالات متتالية، ليس إلا نماذج موجزة لبعض مظاهر الفساد اليهودي، ومن أراد المزيد فعليه مراجعة الكتب التى لم تطبع لتوضع على رفوف مكاتبنا، وإنما وضعت لنقرأ ما فيها ونعيه ونعمل وفقه، وإنه لمن الخطأ الفاحش أن نغمض أعيننا أو نصم آذاننا أو نغلق عقولنا عما نقرؤه أو نسمعه.

وفى الختام اعتذر للقارئ العزيز عما أحدثته له من ذعر واضطراب لإيراد ذكريات المذابح الأليمة التى تعرضت لها البشرية.

قال تعالى : «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين».

من مذابح اليهود

في المقالات الماضية من أصحاب السبت تناولت دور اليهود فى الحروب، ثم بعض مظاهر الإفساد اليهودى فى قارات العالم الثلاث مسترشداً ببعض الوثائق التاريخية التى قامت بعض الكتب بنشرها، وقد دفعنى ذلك إلى فكرة قد تبدو غريبة : لماذا لا أقوم باحصاء مذابح اليهود منذ نشأتهم وحتى الآن؟

وكان من المفروض - بعد أن دخلت هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ - أن أبدأ بسرد مذابح اليهود منذ ظهورهم على مسرح الحياة وحتى آخر المذابح فى هذا القرن، ولكن رأيت أن حصر مذابح اليهود قديماً بحاجة إلى مراجع ووثائق قد لا تكون تحت يدى فى هذه الفترة، لذلك اكتفيت بأن أحصى مذابحهم الحديثة، وبالطبع هناك مذابح لم أتمكن من حصرها، أى أن ما أحصيه هنا هو بعض مذابحهم لا كلها، وسأحاول أن أشير إلى اسم كل مذبحة ومكانها وعدد ضحاياها، كما لن أفرق بين مذبحة قام بها اليهود بأنفسهم مثل دير ياسين، أو مذبحة قام بها أذناب اليهود بتخطيط وتدبير منهم مثل مذبحة صبرا وشاتيلا.

وإليك عزيزى القارئ بعض مذابح أصحاب السبت فى العصر الحديث :

١- مذبحة مقاطعة القراقى فى الحبشة وكان عدد ضحاياها حوالى ٧٨ رجلاً بين قتيل وجريح، وتمت مصادرة ٢٥ ألف هكتار من أراضى المسلمين الزراعية.

٢- مذبحة قبائل رايا فى الحبشة عام ١٩٤٢م وفيها أبيدت قرى بأكملها.

٣- مذبحة كمباشا فى الحبشة وقتل فيها ثمانون رجلاً وامرأة.

٤- مذبحة قرية جرسم فى الحبشة عام ١٩٤٧م وفيها أحرق أذناب اليهود خمسمائة مسلم ومسلمة.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٥٣ بتاريخ ١٤٠٤/٥/١٠هـ الموافق ١٩٨٤/٢/١١م.

٥- مذبحة قرر فى الحبشة عام ١٩٤٧م وقد استمرت أعمال الفتك والبطش فيها سبعة شهور كاملة.

٦- مذبحة داوى فى الحبشة وقد استمرت أعمال القتل فيها أربعة أيام متوالية، وراح ضحيتها مئات الشبان والشيوخ والنساء والأطفال.

٧- مذبحة زنجبار وقد نفذها اليهود عام ١٩٦٤م، وراح ضحيتها أكثر من خمسة عشر ألف مسلم من بينهم نساء وأطفال وشيوخ.

٨- مذبحة دير ياسين فى فلسطين ١٩٤٨/٤/٨م، وراح ضحيتها ٢٥٤ رجلاً وامرأة وطفلاً، وقد مثل بالضحايا تحت إشراف بيجن وشامير.

٩- مذبحة قبية فى الضفة الغربية، نفذتها الفرقة الإسرائيلية رقم ١٠١ بقيادة شارون فى ١٩٥٣/١٠/١٤م، وراح ضحيتها ٦٦ من النساء والأطفال، وجرح فيها ٧٥ ودمر فيها أيضاً ٤٥ منزلاً.

١٠- مذبحة خان يونس فى قطاع غزة عام ١٩٥٦م، وراح ضحيتها ٢٧٥ شخصاً.

١١- مذبحة كفر قاسم بفلسطين المحتلة في١٩٥٦/١٠/٢٩م، وقتل فيها ٤٧ شخصاً.

١٢- مذبحة تل الزعتر، وقعت يومى ١٣، ١٤ أغسطس عام ١٩٧٦م، وراح ضحيتها ٢٠٠٠ من الأبرياء.

١٣- مذبحة صبرا وشاتيلا فى الجنوب اللبناني، وقعت فى سبتمبر سنة ١٩٨٢م، وراح ضحيتها حوالى ١٥٠٠ من بينهم شيوخ ونساء وأطفال.

١٤- مذبحة بحر البقر وهى مدرسة أطفال فى مصر تعرضت لقصف الطيران الإسرائيلى وراح ضحيتها الأطفال الأبرياء.

١٥- مذبحة مصنع أبى زعبل، أحد مصانع مصرو و قد قصفته القوات الإسرائيلية، وراح ضحيتها مئات من العمال.

١٦- مذبحة مدينتى ليون وطولون فى فرنسا عام ١٧٨٣م، إبان أحداث الثورة الفرنسية المصطنعة، وراح ضحيتها أربعة وتسعون تم ذبحهم بالسيوف.

١٧- مذبحة مدينة شوان، فى فرنسا، ولم يبق فى المدينة حتى برزق.

١٨- مذبحة انجه بفرنسا، وأعدم فيها تسعون وجيهاً فرنسياً.

١٩- مذبحة نانت، وراح ضحيتها ستة آلاف فرنسى تم إغراقهم على يدى اليهودى كارير.

٢٠- مذبحة مدينة سافوى الفرنسية، وراح ضحيتها كل الأحياء سواء من البشر أم من الحيـــوانات التى كانت بالمدينة.

٢١- مذبحة مدينتى مونتورناى وابيس الفرنسيتين، وفيها تم حرق النساء والأطفال فى أفران المدينة على يد اليهودى امي.

٢٢- مذبحة باريس، وراح ضحيتها ألف قتيل فرنسى فى يوم واحد.

(ملاحظة : المذابح من ١٦ إلى ٢٢ وقعت أيام الثورة الفرنسية فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي).

٢٣- مذابح المجر العديدة التى قام بها بلاكون وأتباعه من اليهود عام ١٩١٩م، وراح ضحيتها آلاف العمال والفلاحين والنساء، وقد استخدمت وسائل عديدة فى هذه المذابح منها القتل بالرصاص والاعتداء على أعراض النساء وبقر بطونهن واقتلاع العيون.

٢٤- مذابح اليهودى تيبور فى المجر أيضاً، وقد اشتهر بتجريب شتى أنواع العقد لشنق ضحاياه.

٢٥- مذابح الملك كارول وعشيقته اليهودية فى رومانيا فى أوائل الأربعينيات من القـــرن العشرين.

تلك بعض المذابح الجماعية التى قام بها اليهود وأتباعهم تجاه الشعوب البريئة، ولم أتناول فى هذا المقام الحالات الإجرامية التى راح ضحيتها شخص أو شخصان أو حتى عشرة أشخاص، فهذه هينة إذا ما قورنت بالإجرام اليهودى.

والمذابح الأخلاقية والاقتصادية لا تقل فتكا بالأبرياء عن المذابح التى أشرت إليها، ولكن يكفينا ما ذكرته من مذابح.

اعتذر للقارئ العزيز، إذ على مدى خمسة أسابيع قد تناولت بعض القضايا البشعة التى قد لا تروق للكثيرين منا، ولكن يعلم الله وحده أننى غالباً ما كنت أشعر بالغثيان وأنا اكتب بعض هذه السطور، خاصة وأننى اطلعت على تفاصيل الجرائم ونقلت إليك النتيجة فقط، فمعذرة مرة أخرى.

تجـار الحـروب

يقـول مـاركس رافـاج اليـهـودى الرومـانى : «نحن اليـهـود نقف من وراء جـمـيع حروبكم، وإن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم».

ويقـول هنرى فورد : «إننى واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرف ما منها، وأن الطرف الذى استفاد دائماً هم اليهود العالميون، يبدأون الحروب بالدعاية التى يوجهونها من بلد ضد الآخر، وقبل الحرب يتاجرون بالسلاح والذخيرة ويثرون من وراء تلك التجارة، وأثناء الحرب نفسها يثرون من القروض التى يقدمونها للطرفين المتحاربين، وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة فى البلاد».

من هذا المنطلق بدأ اليهود تاريخهم، واستمروا على هذا المنوال طيلة حياتهم، فما من حرب شهدها العالم، وذاقت الإنسانية ويلاتها إلا ولليهود يد قوية فيها، فهم بالفعل المستفيدون من كل حرب، وإن لم تكن الفائدة مادية فيكفى أن هذه الحروب تنهك العالم لتجعله لقمة سائغة فى أفواه اليهود.

ولنستعرض هنا بعض أدوار اليهود، فى بعض الحروب التى شهدها العالم خلال الحقبة الأخيرة من تاريخنا، لنبرهن علي صدق المقولة القاضية بأن اليهود تجار حروب.

ولنبدأ بدور اليهود فى الحرب العالمية الأولى، والمتعمق فى دراسة أسباب هذه الحروب سيندهش عندما لا يجد سبباً يدعو لقيامها بين زعماء هذه الدول.

فالأسباب المعلنة واهية، لأنها قضايا سابقة لزمن الحرب بأعوام، فالحلفاء يزعمون أن ألمانيا دخلت الحرب من أجل السيطرة على العالم، أما الألمان فيزعمون أن بريطانيا كانت تهدف إلى حصار ألمانيا تجارياً وصناعياً فعمدت إلى إقامة الأحلاف، ثم سعت إلى الحرب لتحقيق هدفها.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٠٤ بتاريخ ١٤٠٤/٣/٢٠هـ الموافق ١٩٨٣/١٢/٢٤م.

لم يكن للحرب العالمية الأولى إذن أى مبرر قومى أو اقتصادى معقول خاصة وأن معظم الدول التى خاضت هذه الحرب كانت تمر بظروف داخلية سيئة لا تحتمل معها ويلات الحرب.

لقد سعى اليهود من وراء هذه الحرب إلى تدمير الكنيسة الأرثوذكسية فى الغرب، والقيصرية الروسية والخلافة العثمانية تمهيداً لإقامة الوطن اليهودى فى فلسطين على أنقاض هذه القوى بعد أن تنشب الصهيونية أظافرها فى تلك المحاور، لتضعف أى مقاومة للتيار الصهيونى القادم إلى الشرق، ولعل الواقع يؤكد لنا صدق هذه الحقيقة إذا أدركنا أن وعد بلفور قد جاء أثناء فترة الحرب التى خاضتها بريطانيا (١٩١٤ - ١٩١٨) ونتيجة وقوع بريطانيا فريسة للسيطرة اليهودية.

وعد بلفور كان أهم نتيجة توصل إليها اليهود من جراء هذه الحرب، ناهيك عن المكاسب المادية الطائلة من القروض وبيع السلاح والاحتكار.

أما الأسباب المعلنة للحرب العالمية الثانية فهى أيضاً غير مقنعة، فقد زعم مشعلوها أنها حرب لتحقيق السلام وللدفاع عن حقوق الشعوب، وأنها من أجل العدل والمساواة والديمقراطية وغيرها.

فهل تحققت هذه المزاعم بعد الحرب؟

إن الهدف الرئيس الكامن وراء الحرب العالمية الثانية هو انتقام اليهود من هتلر والنازية التى أعلنت صراحة عداءها لليهود منذ تولى هتلر الحكم عام ١٩٣٣م.

ويكفى أن نلقى نظرة على تاريخ بريطانيا وأمريكا وقت هذه الحرب، لنجد فى الحكومة البريطانية حوالى ثمانية أعضاء بين وزير ومستشار كلهم إما يهود أو ذوو نسب يهودي، أو ذوو خضوع ليهود.

أما الولايات المتحدة - وكان رئيسها وقتئذ روزفلت - فكان يحكمها حوالى خمسة عشر يهودياً بين وزير ومستشار، وأضف إلى ذلك عشرات الأعضاء فى الكونجرس وحكام المحافظات والقضاة والصحفيين.

وإذا نظرنا إلى بعض خسائر الحربين نجدها كالتالى :

- الحرب الأولى : خسرت الولايات المتحدة ٣٥٠ ألف مليون دولار تكاليف الحرب، بالإضافة إلى ١٠٤ آلاف مليون دولار مساعدات مالية ومعدات للحلفاء، أما القتلى فقد بلغ عددهم ٣٣٠، ٢٥٦ قتيل ومئات الآلاف من الجرحى والمفقودين.

- الحرب الثانية : كانت الخسائر العامة من القتلى فقط من المدنيين والعسكريين حوالى ٧٨ مليوناً، بالإضافة إلى ٣٠ مليون معوق.

فمن تحمل هذه الخسائر؟ ومن استفاد من ورائها؟! الإجابة واضحة، إنهم اليهود بالطبع.

والحديث عن دور اليهود وتورطهم فى كل حروب العالم طويل، ويكفى أن أشير سريعاً إلى بعض هذه الحروب، والتى اكتوى بنارها المسلمون.

فقد كان اليهود وراء مشكلة كشمير المسلمة والعدوان الهندوكى على شعبها المسلم منذ عام ١٩٤٧م، وعلاقات الهندوك باليهود وطيدة.

وكان اليهود طرفاً رئيساً فى حروب ٤٨، ٥٦، ٦٧، ٧٣، ١٩٨٢ ضد العرب، وكانت إسرائيل هى المستفيد الأول فى كل حرب من هذه الحروب.

وكان اليهود عنصراً فعالاً فى احتلال لواء الإسكندرونة السورى على يدى الماسونى الطاغية كمال أتاتورك.

وكان اليهود وراء انتزاع قبرص من الدولة العثمانية ومنحها لليونانيين بعد أن استولت عليها بريطانيا فى عهد رئيس حكومتها اليهودى دزرائيلي.

ولم يترك اليهود أفريقيا سالمة من مكرهم وخداعهم وحروبهم، فقد أسهم أبالسة اليهود فى كثير من الحروب والمجازر التى حدثت فى أفريقيا.

فالإمبراطور هيلاسلاسى - اليهودى النسب - قاد حملات إبادة ضد المسلمين أشهرها مذبحة مقاطعة القرافي، ومذبحة قبائل رايا عام ١٩٤٢م، ومذبحة أوسا عام ١٩٤٤م، ومذبحة جرسم، ومذبحة هرن عام ١٩٤٧م وغيرها.

كما تمكن هيلاسلاسى من إخضاع أرتيريا المسلمة ليهود إسرائيل، وعاثوا فيها فساداً، واحتكروا خيراتها، ونكلوا بسكانها المسلمين البالغ عددهم أكثر من ٧٠٪ من مجموع السكان.

أما دور اليهود فى الحروب الأهلية فكبير وشهير، ولعل المقام هنا يضيق عن ذكر هذا الدور، ويكفينا ما عرضنا له من تورط يهودى سافر فى أخطر الحروب التى شهدتها الإنسانية، والتى كان ضحاياها مئات الملايين، وكانت خسائرها مئات البلايين، دفع ثمنها الأبرياء وجنى ثمارها الأشقياء.

فهل بعد ذلك شك فى أن هؤلاء القوم تجار حروب؟!

لا أعتقد....

للبيت رب يحميه

كلمة قالها عبد المطلب، جد رسول الله (ﷺ) لأبرهة الحبشى عندما حشد حشوده لهدم بيت الله فى مكة المكرمة فى العام المعروف بعام الفيل.

ويبدو أن عبد المطلب قد قالها عن يقين فعليّ بأن لهذا البيت الحرام رباً يحميه، وقد كان كذلك بالفعل، إذ بعث الله على أبرهة وجنوده وأفياله طيراً أبابيل (أى جماعات) أخذت ترميهم بحجارة من سجيل (أى طين متحجر)، وقيل إن هذه الحجارة من جهنم لقوة بأسها، كما قيل إن الطير الأبابيل هى مكروبات الأمراض، إذ تفشى فى قوم أبرهة مرض الجدرى بدرجة يندر وقوعها، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط إلى أن هلكوا عن آخرهم.

وذكر حادثة أبرهة فى هذا المقام ليس من نافلة القول، وإنما ذكرناها لمرورنا بأحداث تتعلق بمسجد وبيت من بيوت الله، هو أولى القبلتين وثالث الحرمين، إنه المسجد الأقصى.

فقد حاول أحد الصهاينة الخبثاء حرق المسجد الأقصى فى ٢١ اغسطس عام ١٩٦٩م بتخطيط رسمى من اليهود، ولكن الله سلم، وحمى بيته بعد أن أشعل أحد اليهود النيران فى المسجد.

وتمر الأيام، ويتعرض المسجد الأقصى، مع غيره من المساجد فى الأراضى المحتلة، لمحاولات حرق وهدم على أمل إزالة هذه المساجد الكريمة وإقامة الهيكل عليها، وفى الوقت الذى تدعى فيه العناصر اليهودية والصهيونية تعرضها للإرهاب تمارس هى بذاتها الإرهاب بشتى صوره وأشكاله تجاه المقدسات الإسلامية والمسلمين بوجه عام، وتجاه المسجد الأقصى على وجه الخصوص.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٦٧ بتاريخ ١٤٠٤/٥/٢٤هـ الموافق ١٩٨٤/٢/٢٥م.

ومن العجيب ألا تعثر السلطات الإسرائيلية فى كل محاولة اعتداء على المسجد الأقصى على مرتكبى الحادث، فى الوقت الذى تقبض فيه على عشرات من الأبرياء العرب لمجرد إلقاء قطعة من حجارة على يهودى واحد.

هناك مسلسل إرهابى صهيونى يهدف لتدمير المسجد الأقصي، يشمل حفريات لتتصدع الجدران، وقنابل لنسف المبني. وقد اكتشفت حتى الآن أربع عشرة عملية وضعت فيها متفجرات وقنابل أخذت من مخازن الجيش الإسرائيلي.

وأحدث عمليات الإرهاب اليهودى هى تلك التى اكتشفت مؤخراً وشملت تسع عشرة قنبلة يدوية كانت موضوعة بجوار المسجد الأقصي، وهى من النوع المستخدم فى الجيش الإسرائيلى وفى المنظمة الإرهابية الدينية اليهودية المعروفة باختصارات، ت،ن،ت ارهاب ضد الإرهاب، والتى يتزعمها حاخامات إسرائيل الكبار.

واتضح من التحقيق الأولى أن الجناة كانوا يستقلون سيارة عسكرية تابعة للجيش الإسرائيلي، وقد اكتشفهم حارس المسجد حيث ولوا مدبرين.

المسألة إذن ليست مسألة فردية قام بها شخص حتى يتهم بالخبل والجنون كما فعلوا مع من أحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م، القنابل قنابل الجيش الإسرائيلي، والسيارة سيارته، فالمؤامرة بالتالى رسمية لا يمكن إلقاء تبعتها على شخص بعينه.

وعلى الرغم من محاولات الحكومة الإسرائيلية نفى أى علاقة لها بهذه الجرائم، إلا أنها تفضح نفسها أمام العالم كله عندما يظهر تواطؤها علناً مع الإرهابيين بحجة عدم الكشف عن هويتهم، أو جنونهم، وما شابه ذلك.

لقد أكد يوسى شريد عضو المعارضة الإسرائيلية أن الحكومة تعلم الضالعين فى هذه الأعمال، كما أن الواقع يؤكد ذلك لأن الحكومة باتت تعد العدة لتنفيذ الحلم اليهودى بإقامة الهيكل المزعوم مكان مسرى رسول الله (ﷺ) .

إن اليهود القاطنين مدينة القدس يتحدثون علناً وصراحة عن خططهم لهدم المسجد وإقامة الهيكل مكانه، وحتى لا تتهم الحكومة بالمؤامرة، تركت القضية لحاخامات اليهود

المتطرفين، وهم الآن يجمعون التبرعات من المسيحيين واليهود فى الولايات المتحدة لتنفيذ هذا المخطط عن طريق إحدى المؤسسات التى يتزعمها مسيحى صهيونى أمريكى يدعى شارلز مونرو.

حقاً إن التاريخ ليعيد نفسه وإن اختلفت الشخصيات. فقديماً جاء أبرهة الحبشى النصرانى ليهدم الكعبة ويقيم مكانها كنيسة، واليوم يأتى شامير وبيجن والحاخام كهانا واليهود ليهدموا المسجد الأقصى.

إن الله تعالى الذى جعل فيل أبرهة يدبر ويفر هارباً، لقادر على ألا تنفجر قنابل اليهود وألا تسقط جدران بيته الطاهر.

أما نحن المسلمون، فإذا كنا لا نستطيع الآن حماية المسجد الأقصى وتحريره من براثن اليهود، وإنقاذ المقدسات الإسلامية من دنس الحاخام شلومو جورن والحاخام ليفنجر والحاخام كهانا، فلا أقل من أن نقول مقولة عبد المطلب عن إيمان وصدق ويقين : للبيت رب يحميه.



من صفات اليهود في التوراة

الحاخام يوسف عوفديا مغربي الأصل، وزعيم لثالث أكبر حزب سياسي، إسرائيلي، وهو حزب شاس اليميني الديني. فهو إذن شخصية ذات وزن روحي وسياسي بين أتباعه، ولاشك أن آراءه تعكس ما يعتقده المجتمعون حوله.

ولقد خرج الحاخام عوفديا علينا في موعظته يوم السبت ٢٠٠٠/٨/٥م بآراء «لاسامية» موجهة لبني جلدته أولاً، وإلى العرب ثانياً، وإذا كان الحاخام عوفديا قد لايلام على ما يوجهه إلى قومه، فإنه - بلا شك- يكون محل تساؤل فيما يقوله عن الآخرين.

وما يعنينا هنا هو وصفه للعرب بأنهم «ثعابين» وأن «الرب» نادم على أنه قد خلق العرب أبناء إسماعيل.

ويبدو أن الحاخام عوفديا قد نسي توراته وكتابه المقدس، وراح يخلع ما فيه من صفات وصف الرب بها «شعبه المختار»، على العرب والأمم الأخرى، وهنا أود أن ألفت انتباه عوفديا إلى وصف ربه وإلهه لشعبه بني إسرائيل.

«الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صحابه، أما إسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم». (سفر إشعياء ٣/١)

فبنو إسرائيل أقل مرتبة من الثيران والحمير.

«قد حبلوا (بنو إسرائيل) بتعب وولدوا بتعب وولدوا إثماً، فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت، الآكل من بيضهم يموت، والتي تكسر تخرج أفعي» (سفر إشعياء ٥٩/٤-٥).

فالإسرائيليون أفاعي وعناكب.

نشر هذا المقال في جريدة آفاق عربية، القاهرة ٢٠٠٠/١٠/٥م.

«أما أنت يا ابن آدم (حزقيال) فلا تخف (من بنى إسرائيل) ومن كلامهم، لا تخف لأنهم فريس وسلاء لديك، وأنت ساكن بين العقارب» (سفر حزقيال ٦/٢).

والفريس والسلاء هو شوك النخيل.

«أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب فى الخرب» (سفر حزقيال ٥/١٣).

وإذا كان الأنبياء الأتقياء ثعالب، فماذا يكون سائر القوم؟!

«قد ابتلع إسرائيل، الآن صاروا بين الأمم كإناء لا مسرة فيه، لأنهم صعدوا إلى أشور مثل حمار وحشى معتزل بنفسه» (سفر هوشع ٨/٨-٩)

ومن الحمير إلى البقر :

«إنه قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة» (سفر هوشع ١٦/٤).

ولعل أبلغ وصف يعكس حقيقة الشخصية الإسرائيلية خلال تاريخها القديم والحديث ما جاء فى سفر حزقيال ١/١٩-٣ ونصه :

«أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل وقل : ما هى أمك؟ لبؤة ربضت بين الأسود وربت جراءها بين الأشبال. ربت واحداً من جرائها فصار شبلاً وتعلم افتراس الفريسة. أكل الناس»

هذه يا نيافة الحاخام الأكبر صفاتك وقومك، كما جاءت فى توراتك التى لم تقل إن العرب ثعابين.

فهل نصدقك؟ أم نصدق توراتك؟!

الفصل الرابع

شخصيات صهيونية

دافيد بن جوريون

أول رئيس وزراء للعدو الإسرائيلي، ولد في بولندا عام ١٨٨٦م ومات عام ١٩٧٣م. تشرب الصهيونية وهو حدث صغير على يدى والده مما جعله يؤسس أول جمعية لتعليم الصهيونية واللغة العبرية وهو فتىً صغير.

انتقل إلى وارسو وعمره ثمانية عشر عاماً حيث شارك فى أول مؤتمرين صهيونيين عقدا فى وارسو، انتقل بعدها مهاجراً إلى فلسطين عام ١٩٠٦م، حيث اشتغل بالزراعة والبناء فى كفر سابا وبتاح تكفا.

التحق بالجيش الروسى لمدة عام واحد سنة ١٩٠٨م، وعاد بعدها إلى الجليل ليعمل فى مجال الأمن.

درس بن جوريون القانون فى كوشطا، ثم عاد إلى فلسطين حيث طرد منها عام ١٩١٥م، لاشتراكه فى منظمة صهيونية سرية تتآمر ضد الدولة العثمانية، ثم ذهب إلى نيويورك واشترك فى تشكيل الكونجرس الصهيوني.

التحق بن جوريون بالكتائب العبرية، كما تولى منصب السكرتير العام للهستدروت (١٩٢١ - ١٩٣٥م)، وقد عمل من أجل توحيد الحركة العمالية، وكان من بين مؤسسى حزب ماباى (حزب عمال أرض إسرائيل) عام ١٩٣٠م والذى نشأ نتيجة مزج اتحاد العمل والعامل الناشئ.

وحياة دافيد بن جوريون حافلة بالنشاط الصهيوني، فهو عضو فى اللجنة التنفيذية الصهيونية، والوكالة اليهودية التى صار رئيساً لها فيما بعد، اشترك فى اتخاذ جميع القرارات الصهيونية المهمة الحاسمة. عارض الكتاب الأبيض البريطاني، ودعا إلى

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٧٩١ بتاريخ ١٤٠٣/٤/٢٢هـ الموافق ١٩٨٣/٢/٥م.

الاستعداد العسكرى لمواجهة العرب، وخطط لتدريب القوات الإسرائيلية وإعدادها، كما وضع الخطوط الرئيسة للهيكل العسكرى الإسرائيلي.

حددت آراؤه السياسية حدود إسرائيل، وهو صهيونى يتطلع إلى دولة إسرائيل الكبري، وأسهم فى قيام إسرائيل مساهمة كبرى لذلك تولى رئاسة أول حكومة إسرائيلية وجمع معها منصب وزير الحرب عام ١٩٤٨م ثم تركها عام ١٩٥٣م وعاد كوزير للحرب عام ١٩٥٥م، ثم كرئيس للوزراء، وكان على رأس حرب السويس عام ١٩٥٦م.

بادر بن جوريون بإقامة المفاعل النووى فى ديمونة دون علم الكنيست ولجنة الخارجية والأمن.

استقال من رئاسة الحكومة عام ١٩٦٤م.

لقد أعطى بن جوريون لمفهوم الأمن الإسرائيلى أبعاداً واسعة، فالأمن يعنى لديه قدرة إسرائيل على الدفاع عن نفسها بقواتها هي، لذلك يندرج تحت الأمن : التعليم والهجرة والاستيطان والصناعة والسياسة.

ويرى بن جوريون فى النزاع العربى الإسرائيلى نزاعاً لا حلّ له وأشار إلى ضرورة التفاوض مع زعماء العرب.. وقد تنبأ بن جوريون بالتفاوض مع زعيم مصرى لفرض حل النزاع على العالم العربي.

والجيش الإسرائيلى فى نظره هو الأداة الأولى لتحقيق الأمن الإسرائيلي، وأن عليه أن ينقل دائماً ساحة القتال إلى أرض العدو. وهذا ما فعلته إسرائيل بالفعل فى حروبها ضد العرب حتى غزو لبنان. ومع ذلك لم يعتقد بن جوريون على الإطلاق أن الانتصار العسكرى يمكن أن يحقق الأمن لإسرائيل، لأن العالم العربى قادر على أن يدمر إسرائيل مهما هزم.

ومن أقوال بن جوريون المشهورة «لو وضعت كل المثل فى العالم على كف، وأمن إسرائيل على كف أخري، لاخترت أمن إسرائيل» وهذا فى حد ذاته كافٍ ليوضح لنا أيديولوجية شخصية بن جوريون.

وتصل الغطرسة الصهيونية إلى ذروتها فى شخص بن جوريون عندما يقول :

«إننا معشر يهود نحدد لأنفسنا ما هو صالح لنا، بل نحدد للعالم ما هو صالح له وما هو غير صالح لأن لنا الحق فى ذلك».

ومنطق بن جوريون لا يختلف كثيراً عن منطق مناحم بيجن، والمسألة هنا ليست تشابها فى الشخصيات، بقدر ما هى اتحاد فى الأصول الفكرية التى يستمد كل منهما آراءه واتجاهاته، فلا عجب أن يثبت لنا بن جوريون وبيجن وجابوتنسكى وشارون، فكلهم قد ترعرعوا فى تربة واحدة هى تربة الصهيونية، كلهم قد شربوا من هذا المستنقع وعاشوا على طفيلياته وحشراته، وسنرى فيما بعد بإذن الله أوجه الاتفاق بين هؤلاء وأصحاب السبت.

إســحق نــافــون

قد يتساءل البعض : لِمَ نتحدث عن نافون - الرئيس الإسرائيلى السابق - وقد ابتعد عن مسرح الحياة السياسية والإسرائيلية؟

والرد على ذلك يسير؛ فاسْحق نافون، لم يقرر بعد إذا ما كان سيعتزل الحياة السياسية أم لا ؛ فهو مرشح من قبل الكثيرين من تجمع المعراخ ليتزعم هذا التجمع العمالى المعارض ضد تكتل ليكود بزعامة مناحم بيجن، وذلك فى محاولة لإنقاذ المعراخ بعد أن تدنت شعبيته، واحتدم الصراع بين زعيميه التقليديين شيمون بيريز واسحق رابين.

وخلاصة القول، إن تناول هذه الشخصية مفيد على أى حال، ويكفى أن نعرف بعض جوانب أحد قادة عدونا.

ولد اسحق نافون بالقدس عام ١٩٢١م، درس فى الجامعة العبرية التربية والحضارة الإسلامية واللغة العربية وأدبها، عمل كمدرس لعدة سنوات، تفرغ بعدها لإدارة القسم العربى بالهاجاناه فى القدس وحتى حرب ١٩٤٨م.

وبعد انتهاء الحرب أرسل من قبل وزارة الخارجية كسكرتير ثان فى القنصلية الإسرائيلية بالأرجواى والأرجنتين، ثم عاد ١٩٥١م، حيث تولى منصب السكرتير السياسى لوزير الخارجية وقتئذ موشى شاريت.

وفى عام ١٩٥٢م عين كمدير لمكتب رئيس الوزراء دافيد بن جوريون، واستمر حتى استقالة بن جوريون عام ١٩٥٣م.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٨٢ بتاريخ ١٤٠٣/٧/٢٤هـ الموافق ١٩٨٣/٥/٧م.

وقد انتخب فى الكنيست السادس وحتى التاسع، وكان خلال هذه الفترة نائباً لرئيس الكنيست، وابتداء من ١٩٧٤م ولمدة أربع سنوات تولى رئاسة لجنة الشئون الخارجية والأمن، حيث انتخب عام ١٩٧٨م كخامس رئيس لإسرائيل.

واسحق نافون لم يكن ذات يوم بعيداً عن الإجرام الإسرائيلي، فهو ذو علاقة بالمذابح الإسرائيلية على مر التاريخ بدءاً من دير ياسين وانتهاءً بصبرا وشاتيلا.

وعلى الرغم من أن منصب الرئاسة الإسرائيلية منصب شرفى لا قيمة له، إلا أن الرئيس نافون لم يخف وجهة نظره إزاء القضايا المهمة.

فنافون يؤيد سياسة الاستيطان اليهودى فى الأراضى العربية المحتلة، ويؤيد الإجرام البيجيني، ويؤيد استمرار الاحتلال.

وإذا كانت نواياه لم تتضح علناً وهو رئيس لإسرائيل، فإنه لابد وأن يفصح عنها إذا ما تزعم المعراخ بالفعل، إذ لابد أن يقول ما بجعبته تجاه هذه القضايا، وسندرك وقتها أن أمة الكفر واحدة، وأن أصحاب السبت لا يختلفون فى جوهرهم وإن اختلفت أشكالهم وانتماءاتهم.

مناحم بيجن

يُعد مناحم بيجن أكثر أصحاب السبت إرهاباً فى العصر الحديث، إذ يحتفظ التاريخ له بأبشع الجرائم التى ارتكبت ضد الإنسانية.

وبيجن، البولندى الأصل، تتلمذ على يد أستاذ الإرهاب الصهيونى فلاديمير جابوتنسكى الذى أسهم فى تأسيس قوات يهودية لمحاربة العرب.

وقد جاء مناحم بيجن إلى فلسطين عام ١٩٤٢م، بصورة غير قانونية، وأول جرائمه هى التخطيط لنسف فندق النبى داود حيث مقر القيادة العامة للجيش البريطاني، وقتل فى هذه العملية نحو مائة شخص.

وتأتى مذبحة دير ياسين لتكشف بوضوح عن إرهاب بيجن، حيث قتلت قواته كل من كان بالقرية من العرب أطفالاً ونساءً ورجالاً، ويقول بيجن بوقاحة المجرم :

«لقد طالبنا السكان العرب بإخلاء القرية وقتل من رفض الخروج، ومن أجل هزيمة العدو فقد استعملنا عدداً كبيراً من القنابل اليدوية، فتكبد المواطنون الذين لم يذعنوا للإنذار خسارة كبيرة فى الأرواح».

وتاريخ منظمة الإرجون التى تزعمها مناحم بيجن حافل بالإرهاب والإجرام فى فلسطين، وكان قوامها خمسة آلاف إرهابى صهيونى انضموا إلى الجيش الإسرائيلى مع قيام إسرائيل فى مايو ١٩٤٨م، لتبث سموم الإرهاب بين أفراد الجيش، وليبنى هذا الجيش على هذا الأسلوب الهمجي.

ومع تحول مناحم بيجن إلى العمل السياسي، انتقل مفهوم الإرهاب من المجال العسكرى إلى المجال السياسي، وأصبح بيجن صقر الصقور المتطرفين الذين ينادون بإسرائيل من الفرات إلى النيل.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٤٠ بتاريخ ١٤٠٣/٦/١٢هـ الموافق ١٩٨٣/٣/٢٦م.

وقد أسس مناحم بيجن حزب حيروت - العمود الفقرى لتكتل ليكود الحاكم - من اندماج منظمتى شتيرن والإرجون فى أواخر عام ١٩٤٨م.

ولقد أدت هزيمة العدو الإسرائيلى فى حرب ١٩٧٣م إلى زعزعة الثقة بالأحزاب العمالية، وتمكن بيجن الإرهابى الدموى - لأول مرة - من الاستيلاء على السلطة، ودخلت إسرائيل مرحلة جديدة اتسمت بالإرهاب السياسى والعسكرى الذى تمثل فيما يلى :

١- ضم المزيد من الأراضى العربية مثل الجولان.

٢- إنشاء المئات من المستوطنات على الأراضى العربية

٣- الابتزاز السياسى الذى تمثل فى مفاوضات العدو مع مصر ولبنان.

٤- حرب لبنان، وقد تمت على مرحلتين : عملية الجولان عام ١٩٧٨م، ثم احتلال الجنوب عام ١٩٨٢م.

٥- محاولات اغتيال الزعماء الفلسطينيين وإيجاد بدائل غير شرعية لهم.

٦- مذبحة صبرا وشاتيلا، وهى تفوق مذبحة دير ياسين فى بشاعتها وإرهابها.

٧- الإرهاب الداخلى ومحاولة تصفية معارضى سياسة بيجن وتهديدهم للعدول عن مواقفهم.

وسمات العصر البيجينى الإرهابية لا تنتهي، ولعل أبرز هذه السمات تعيين رجل مثل شارون فى منصب وزير الحرب وهو الذى اعترف الإسرائيليون أنفسهم بأنه دموى وإرهابى، ولكن ذلك يرجع إلى أن مثل هذه الصفات لا تعد - لدى بيجن - عيباً وإنما هى مسوغات التعيين التى يتم بموجبها وضع المسئولين فى أماكنهم المناسبة.

لاشك أن مناحيم بيجن، يعد مثلاً فريداً فى الإرهاب فى القرن العشرين، فهو لا يعيش إلا على ابتزاز وإرهاب الآخرين، وهو إن لم يمارس ذلك بطلقات المدافع وقصف الطائرات، مارسه بالتهديد والابتزاز، ولامانع لديه من أن يكذب ويفترى حتى يحقق ما يريد.

شـــــارون

لعله من المناسب فى هذه الأيام أن أتناول شخصية أحد أخطر أصحاب السبت، ألا وهو إريئيل شارون.

وقبل أن نكشف عن بعض تاريخه الإرهابى نتعرف على نشأته، لأنه لا يمكن أن نفصل بين حاضره وماضيه.

ولد شارون عام ١٩٢٨م، واشترك فى منظمة الهاجاناه الإرهابية، وقاد قوة الكوماندور الخاصة المسماة بالوحدة ١٠١ فى حرب ١٩٤٨م وكانت أولى مهامها القيام بعمليات إرهابية ضد العرب.

اتسمت حياته العسكرية بالتمرد والعصيان لقادته، فتأخرت ترقيته عن باقى زملائه عدة مرات. درس فى كلية القيادة والأركان البريطانية عام ١٩٥٧م، شغل بعدها منصب قائد مدرسة سلاح المشاة ثم قائداً لأحد الألوية فى سلاح المدفعية عام ١٩٦٢م..

عند تولى إسحق رابين لرئاسة الأركان عين شارون رئيساً لأركان القيادة الشمالية، تولى بعدها رئاسة قسم التدريب فى هيئة الأركان العامة، ثم أصبح مستشاراً لرئيس وزراء العدو الإسرائيلى لشئون الحرب.

وفى فترة توليه لرئاسة قسم التدريب، عمل شارون على نقل معسكرات التدريب إلى الضفة الغربية فى محاولة «لعسكرة» الأراضى المحتلة، ولم يتمكن من تحقيق هذا الحلم إلا عندما أصبح وزيراً للحرب فى الثمانينيات.

ولما أحس شارون بأن السلك العسكرى لا يتناسب فى سرعته مع آماله وطموحاته اتجه إلى الحلبة السياسية، وانضم فى انتخابات عام ١٩٦٦م إلى كتلة «جاحال».

وقد استدعى شارون بعد حرب الأيام الستة لإبادة الانتفاضة العربية فى الأراضى المحتلة وفى غزة بوجه خاص. ولم يكن ليدع مثل هذه الفرصة حتى يرتوى من دماء

الأبرياء، واستطاع بالفعل خاصة فى الفترة من ٧٠ - ١٩٧١م أن يشن عدة عمليات عسكرية، وأن يعتقل المئات من سكان غزة مطبقاً عليهم سياسة العقاب الجماعى الفوري، كما قام بعدة إجراءات ديكتاتورية تمثلت فى إغلاق جامعة بير زيت وصحيفة الفجر.

ومذابح صبرا وشاتيلا ليست العملية الإجرامية الكبيرة الوحيدة التى تميز الإرهابى شارون، فقد سبق له وأن قام بعملية مماثلة مع العرب البدو فى رفح فى ظروف مشابهة لمذابح صبرا وشاتيلا دون موافقة الحكومة.

وقد طلب قائد المنطقة الجنوبية شمويل جونين عزل شارون بل وطالب بمحاكمته لارتكابه عدة مخالفات منها :

١- عصيان الأوامر العسكرية.

٢- عدم تنفيذ التعليمات الصادرة من القيادة العليا.

إلا أن شارون قابل ذلك باستخفاف وقال إنه لا ينفذ أى أمر عسكرى لا يخدم الاحتلال الإسرائيلى والعاملين تحت إمرته.

وتمضى الأيام، وتحت الضغط الشارونى والحزبي، يرضخ مناحم بيجن لطلب شارون ويضعه وزيراً للحرب بعد أن وصف شارون نفسه قائلاً :

«إنه من سوء التصرف وانعدام المسؤولية أن لا يتم تعيين رجل مثلى على قيادة الجيش بأسره، فكم من القادة مثلى فى الجيش الإسرائيلي».

ومنذ اليوم الأول لتولى شارون وزارة الحرب وهو يواجه معارضة علـى المستويين العسكرى والسياسي، فهو على النطاقين يتصرف بديكتاتورية فظة. فعلـى الصعيد العسكرى أخضع شارون ميزان الترقيات لكبار الضباط لمزاجه الشخصي، لا لكفاءة الضباط أو التقارير المرفوعة عنهم، وقد أثار لغطاً كبيراً حول هذه النقطة بالذات.

وأما على المستوى السياسى فقد ضرب شارون الحكومة كلها.. بما فى ذلك رئيسها، ضرب بهم عرض الحائط، وراح ينفذ ما يحلو له، وما يحلم به دون أخذ موافقة

الحكومة أو حتى دون علمها، وأصبح أعداؤه فى مجلس الوزراء أكثر من أصدقائه، كما كان السبب الرئيس - هو وشريك إرهابه بيجن - فى تدهور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية.

ثم جاءت مذابح صبرا وشاتيلا وحرب لبنان ليفعل فيها شارون مالم يفعله أى إرهابى فى العالم، وتجاوز كل الحدود الدولية والأخلاقية، وخسر تأييد من تبقى له، وكان سبباً فى مطالبة الأحزاب الأخرى بحجب الثقة عن الحكومة نظراً لتصرفاته الشاذة.

ولم يحدث فى تاريخ العدو الإسرائيلى أن خرج نصف مليون متظاهر يطالبون بإسقاط إرهابى مثل ما حدث بعد مذابح بيروت، حيث طالبوا بإسقاط شارون ورفيق حياته بيجن.

وجاء تقرير لجنة كاهان ليوصى بإقالة شارون، أحد أعمدة نظام بيجن، ولتتم إقالته بالفعل لا كنتيجة لتوصيات اللجنة فحسب، وإنما لتزايد السخط الجماهيرى نحوه ونحو من يؤيدونه.

ولكن، وإن ترك شارون منصب وزير الحرب، فقد بقى فى الوزارة كوزير دولة؛ وسلم الأمانة إلى خير حافظ لها.. إلى مناحم بيجن، ليشرف على تنفيذ الفصل الثانى من أحلام شارون الذى سيبقى داخل مبنى الحكومة، يشد من أزر بيجن، ويخطط لأبشع وأحقر وأخس جرائم اصحاب السبت.

اسحق رابين

أحد مشاهير أصحاب السبت ولد بالقدس عام ١٩٢٢م وانتقل مع أسرته بعد عام واحد إلى تل أبيب حيث تلقى فيها تعليمه وتخرج من إحدى مدارس الزراعة.

عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره انضم إلى «البالماح» ثم عين مسؤولاً عن الجليل الغربي، ثم أنهى دورة فى الهاجاناه، بعدها تولى منصب ضابط العمليات بقوات البالماح.

اشترك فى حرب ١٩٤٨م وكان قائداً لأحد الألوية حيث حارب على مشارف القدس. تولى منصب ضابط العمليات بالجبهة الجنوبية، واشترك فى عدة عمليات ضد العرب، كما اشترك فى وفد إسرائيل لمباحثات وقف إطلاق النار مع مصر ورودوس.

ترأس رابين شعبة العمليات فى هيئة الأركان العامة ٥٠ - ١٩٥١م، ثم ابتعث إلى بريطانيا لمدة عام للحصول على دورة ضابط أركان، ثم عاد برتبة عميد ليتولى قيادة شعبة التدريب بهيئة الأركان.

وقد قام رابين بجولة فى جيوش أوربا وأمريكا للاطلاع على وسائل التدريب العسكري، تولى بعدها قيادة المنطقة الشمالية عام ١٩٥٦م.

عين نائباً لرئيس الأركان عام ١٩٦١م وقام بجولة فى أفريقيا عام ١٩٦٢م لتحقيق المزيد من التعاون العسكرى مع بعض دولها.

تولى رئاسة الأركان فى يناير ١٩٦٤م حيث اشتدت فى هذه الفترة العمليات الفدائية ضد إسرائيل، وقد عمل رابين على تزايد قوة الجيش الإسرائيلى لمواجهة النشاط الفدائي، واستعداداً لحرب ١٩٦٧م.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٢٦ بتاريخ ١٤٠٤/٥/٢٧هـ الموافق ١٩٨٣/٣/١٢م.

عمل رابين سفيراً لإسرائيل فى واشنطن من عام ١٩٦٨م حيث كانت له اتصالات خاصة مع الرئيس الأمريكى نيكسون ومع كيسنجر والعديد من رجال الإدارة الأمريكية.

إثر حرب ١٩٧٣م عاد إلى إسرائيل وانتخب عضواً فى الكنيست، وتولى منصب وزير العمل فى حكومة جولدا مائير ثم رئيساً للوزراء إثر استقالتها، وقد جرت فى عهده اتصالات مع المصريين تعتبر مدخلاً لاتفاقيات السلام التى عقدت فيما بعد مع مصر.

تخلى رابين عن منصبه بعد تورط زوجته فى أعمال تهريب عملات أجنبية للخارج.

كان فى صراع دائم مع وزير حربه شمعون بيريز، وقد تدهورت سياسة الأجور فى فترة رئاسته للحكومة الإسرائيلية، وكثرت الاضرابات والفوضي، وهبطت شعبية المعراخ نتيجة ذلك، ثم كانت النيتجة أن خسر حزب العمل الذى يتزعمه رابين انتخابات عام ١٩٧٧م أمام المعارضة بزعامة مناحم بيجن.

وقد احتدم الصراع بين رابين وبيريز، حيث تربع بيريز على زعامة المعراخ يليه رابين فى المرتبة الثانية.

واسحق رابين، وإن حاول الظهور على مسرح الأحداث كمضاد لبيجن وسياسته، فهو فى الحقيقة لا يقل صهيونية عنه أو عن شارون، فقد كان وراء حرب ١٩٦٧م واحتلال سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة، وكما يتستر بيجن الآن على شارون وإجرامه، فقد قام رابين بنفس الدور مع موشى دايان، وذاق السكان العرب الأمرين على يدى حكومة رابين.

ويعتبر رابين من أكثر أصحاب السبت حباً للسلطة، فعلى الرغم من انخفاض شعبيته كما تشير استطلاعات الرأي، إلا أنه يواصل تحدى بيريز، بل لقد أعلن مؤخراً أنه حتى ولو لم يرشح نفسه لتزعم حزب العمل، فلن يترك له الزعامة لقمة سائغة.

وبعد ... فتلك عجالة عن أحد أصحاب السبت، ولنا مزيد من اللقاءات مع هؤلاء الأصحاب.

شامير وتاريخه الارهابى

لقد أمضى اسحق شامير، خليفة بيجن، والرئيس المرتقب للحكومة الإسرائيلية إحدى وعشرين سنة فى العمل السرى الإرهابى حتى بات الكثيرون يقولون إن شامير يخفى أسراره حتى عن نفسه.

ولد شامير قبل ثمانية وستين عاما فى بولندا، وقد بدأ عمله السرى الإرهابى عام ١٩٣٧م فى منظمة (اتسل) الإرهابية الصهيونية، وكان له أبرز الأدوار تحت سقفها، كما عمل على تجنيد تلاميذ المتوسطات والثانويات بالمنظمة. وبعد انقسام (اتسل) آثر شامير الانضمام إلى (ليحي) وشق شامير طريقه كذئب منعزل، لم يعتمد على أى شخص ولم يخضع لأحد، وكان سبباً لشكاوى قادة (ليحي).

استطاع شامير أن يهرب عام ١٩٤٨م من منفاه فى أرتريا بعد أن قضى هناك سنتين، بعدها عمل كسكرتير لشركة دور السينما، ثم عمل فى شركة مقاولات بالنقب، حتى انضم إلى الموساد عام ١٩٥٥م بعد موافقة دافيد بن جوريون على ذلك. وقد اصطحب شامير معه إلى الموساد مجموعة من أعضاء (اتسل وليحى)، واتخذ من باريس مقراً لنشاطاته.

انضم شامير إلى حركة حيروت عام ١٩٧٠م، ثم انتخب عضواً فى الكنيست عام ١٩٧٣م، ومع تولى ليكود للسلطة عام ١٩٧٧م شغل منصب رئيس الكنيست.

وفى عام ١٩٨٠م وبعد استقالة موشى ديان اختاره بيجن لمنصب وزير الخارجية فى حكومته.

وموقف شامير تجاه اتفاقيات السلام مع مصر يختلف عن موقف زعيمه بيجن، فهو قد أبدى اعتراضاته على كثير من الخطوات، كما أنه – منذ البداية – كان يخشى ألا

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤٠٢٠ بتاريخ ١٤٠٣/١٢/٢٤هـ الموافق ١٩٨٣/١٠/١م.

تصمد مصر فى اختبار السلام مع إسرائيل على حد قوله، وهذا ما دفعه لأن يصف المسؤولين فى مصر بأنهم «دعاة سلام مزيفون»، ويؤكد على صدق موقفه فى عدم التصويت بالموافقة على اتفاقيات كامب ديفيد.

أما عن وضع شامير داخل ليكود فقد كان يتمتع بمنزلة عالية حتى حرب لبنان، وتحدث الجميع عن استحقاقه لخلافة بيجن بلا منازع، ولكن يبدو أن هذه المنزلة قد هبطت كثيراً بعد الحرب خاصة بعد التزامه بالصمت فى جلسات الحكومة، وتركه الساحة لشارون يصول فيها ويجول كيفما يشاء، بل إنه لم يجرؤ على الاعتراض على تدخل شارون فى أمور هى من صميم اختصاص وزير الخارجية، وهذا ما عبر عنه شارون بقوله: عندما ترعد المدافع تصمت الدبلوماسية.

ولكن يبدو أن الدبلوماسية الشاميرية لم تصمت حين رعدت المدافع وحسب، إنما صمتت أيضاً بعد صمت المدافع، ولم يتحسن وضع شامير إلا بعد ذهاب شارون.

وعلى الرغم من أن لجنة التحقيق فى مذابح صبرا وشاتيلا لم توصى بشئ ضد شامير إلا أنه يتحمل بعضاً من المسئولية، وذلك وفق ما ورد فى تقرير لجنة كاهان حيث اتهمه التقرير باللامبالاة وعدم الإحساس والغفلة.

والمتتبع لتاريخ شامير السياسى يجده امتداداً لتاريخه الإرهابى، فشامير الذى قاد عمليات الاغتيال - وهو المطلوب اعتقاله من قبل السلطات البريطانية - من أجل إقامة إسرائيل، لا يرضى بأى شئ يمكن أن يزلزل هذا الكيان، فهو يعاضد ويناصر كل ما من شأنه استمرارية إسرائيل والقضاء على الفلسطينيين، ولا يدخر وسعاً فى تحقيق ذلك.

وبحلول شامير محل بيجن يجب أن يتلاشى أى تفاؤل لدى البعض، فشامير إن لم يكن أكثر إرهاباً من بيجن فلن يقل عنه، وسنرى قريباً أن أمة أصحاب السبت واحدة.

شامير فى عيون العالم

ورث اسحاق شامير قيادة منظمة (لحي) عن أبراهام شتيرن، وزعامة ليكود عن مناحم بيجن، وكان صراعه على زعامة ليكود ضد دافيد ليفي هادئاً ولا يحمل سمات الصراعات الإسرائيلية المألوفة، ولعل ذلك من العوامل التى أسهمت فى وصوله إلى القمة فى حزبه، وأسهمت من قبل فى توليه عدة مناصب كان أبرزها : رئاسة الكنيست، ووزارة الخارجية ثم رئاسة الحكومة..

ويتميز شامير بالحفاظ على جذور انتمائه، فهو المنتمى إلى منظمة (لحي) الإرهابية. لم تتغير صفاته على مر الزمان سواء وهو فى بولندا أم فى أمريكا أم فى إسرائيل.

ولم يبرز شامير فى أدواره التى شغلها، وكان دائماً بعيداً عن الأضواء، قليل الكلام، قليل الكتابة، ومن هنا نفهم ما كتبته إحدى الصحف الألمانية عنه فقالت : إنه (الرجل الذى لم يكن)..

ولكن، هذا لا يعنى أنه ليس لشامير ماض، فماضى شامير يمكن أن يؤلف كتباً، إلا أنه لا يحب العودة إلى هذا الماضي.

ويعتبر اسحق شامير من أقل الشخصيات الإسرائيلية تعرضاً لهجوم الصحف ونقدها، وذلك يرجع بالطبع إلى أنه لم يكن فى الصورة دائماً، وفى اعتقادى أن وراء ذلك سبباً جوهرياً يكمن فى نشأة شامير وحياته، فهو قد اعتاد العمل السرى والنشاط السرى، بمختلف صوره وأشكاله منذ نصف قرن تقريباً، فهو يعمل، ويعمل بنشاط، إلا أن أعماله وأفعاله تتسم بالسرية، ولولا هذه السرية ما عاش شامير ولا استمر، فهو كالسمك الذى لا يحيا على وجه الماء، وإنما استمرارية حياته تكمن فى ظلمات البحر.

وصورة شامير فى العالم، هى صورة الإرهابى الدموي، وقد كتبت عنه صحف عدة، بلغات متعددة، كلها تصفه بالإرهاب والإجرام، وراحت وسائل الإعلام المختلفة تبحث

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٢٥ بتاريخ ١٤٠٤/٤/١١هـ الموافق ١٩٨٤/١/١٤م.

فى الملفات القديمة، وتخرج لنا وثائق (سرية) تثبت إدانة شامير فى جريمة أو تورطه فى قضية، وقد شنت الصحافة اليهودية حملة شعواء ضده، وأثبتت بالأدلة الدامغة، أن شامير كان على استعداد للتحالف مع الألمان النازيين، فهو نصير النازية، ولا يصلح رئيساً لحكومة إسرائيل (ضحية) النازية، بل لقد أطلقوا عليه لقب (عميل هتلر).

أما الصحافة السوفيتية فقد نشرت عن شامير كثيراً، وكتبت البرافدا السوفيتية بلوجرافيا عن شامير تحت عنوان (السفاح) لاقت انتشاراً كبيراً، وقد ذكرت هذه الصحيفة عن شامير أنه قام بقتل العديد من اليهود والبولنديين والانجليز والفلسطينيين، وهو متهم بقتل اللورد موين وبرنادوت وغيرهما.

إن إسحق شامير، الذى ارتكب العديد من الجرائم البشعة، قد تتلمذ على أيدى أكثر السفاحين اليهود تطرفاً مثل شتيرن وجابوتنسكى وأورى تسفي. لقد تعلم على أيديهم كيف يقتل ويذبح، كيف يخرب ويدمر، وعلى أفكار هؤلاء القتلة قامت إسرائيل، وما كان لها أن تستمر لو لم تتمسك بمبادئهم وتسير على نهجهم.

وإسحق شامير، رئيس الحكومة الإسرائيلية، لم يكن قائداً وزعيماً لحركة إرهابية فحسب، وإنما يتميز بأنه كان ينفذ العديد من المهام الإرهابية بيده.

وإذا كانت قائمة الإرهاب العسكرى لدى شامير مملوءة عن آخرها، فإن إرهابه السياسى لا يقل خطورة.

فشامير هو الذى اقترح رسمياً ضم القدس، والضفة الغربية، والنقب، وشرق الجليل، إلى حــوزة إسرائيل.

لاشك أن لشامير خبرة متعددة المناحى والاتجاهات.. فهو خبير فى الإرهاب، وخبير فى السياسة، وخبير فى الاعتقالات، وخبير فى العمل السري، بمختلف صوره وأشكاله.

إن شامير هو الوحيد الذى حكم إسرائيل، ومازال يحتفظ فى صدره وعقله بميثاق منظمة (لحي) الإرهابية، وهو لاشك سيعمل جاهداً على تحقيق بنود هذا الميثاق لأنها لم تكتمل بعد.

فلا تفرطوا - يا هؤلاء - فى التفاؤل بذهاب بيجن، ومجيء شامير، (فشهاب الدين أضرط من أخيه).

شامير والحكومة الإرهابية

يتميز أصحاب السبت على مدى تاريخهم بالتفرد والاختلاف عن أمم الأرض. وليس هناك ما يمنع أن تنفرد دولة بخصائص عن العالم بأسره مادامت هذه الخصائص والميزات مثلا يحتذي..

أما سمات وخصائص أصحاب السبت فهي من النوع الذى لا يفكر أحد على الإطلاق فى الاقتداء بها، لأنها سمات وخصائص غير محببة بل ومستهجنة تماماً..

فمن الغريب أن تضم حكومات إسرائيل المختلفة عناصر إجرامية وإرهابية، ليس على المستوى الداخلى فحسب وانما على المستوى الدولى أيضاً.

فمناحم بيجن نسف فندق الملك داود بالقدس وبه عشرات من البريطانيين، وارتكب مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا.

وزوجة رابين تهرب العملات الأجنبية إلى الخارج..

وبلاتو شارون مطارد من السلطات الفرنسية ومطلوب القبض عليه، وأبو حصيرة لص مزيف محتال..

وشامير .. حديث اليوم .. له سجل حافل فى الإرهاب والاجرام. ومطلوب القبض عليه من قبل السلطات البريطانية.

ولكن ما هى فلسفة شامير الإرهابية..؟!

يقول اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل فى برنامج تليفزيونى أجرى معه منذ ست سنوات :

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٢٥ بتاريخ ١٤٠٤/٤/١١هـ الموافق ١٩٨٤/١/١٤م

(فـى ظـروف معينة يكون اغتيـال رجال الدولـة الذين يخططون السيـاسـة أمراً شـرعيا).

إن مـاضى شـامير كـأحد قادة منظمة (ليحي) الإسرائيلية الإرهابية غـامض وغير واضح، ولقد اصطدم الباحثون فى تاريخ العمل السرى بحائط من الكتمان عندما أرادوا استيضاح دور شامير فى عمليات المنظمة السرية خاصة دوره فى القضايا الثلاث التى مازالت غـامضـة وهى : اغتيـال اللورد مـوين فى القـاهرة عـام ١٩٤٤م، وإعـدام أحـد أعضاء المنظمة ذاتها وهو إلياهو جلعادى فى عام ١٩٤٣م، واغتيال وسيط الأمم المتحدة هرزون بولكا برنادوت عام ١٩٤٨م.

أما ما لا يقبل مجالاً للشك فهو أن قرار الاغتيال وخاصة اغتيال برنادوت، قد تم على يدى قادة منظمة (ليحي) وهم يالين مور، إسرائيل إلداد، واسحق شـامير، ويحدد لنا أحد الباحثين الإسرائيليين المخطط الأول والمنفذ فيقول :

لم يكن إسرائيل الداد متمتعاً بكفاءة تنظيمية لتنفيذ الاغتيال، بل إنه لم يشارك فى اتخاذ القرار وإن كان قد وافـق عليـــه فيما بعد، وإن إسحاق شامير هو المحرك الرئيس لعملية الاغتيال إن لم يكن هو الذى قام فعلاً بعملية القتل فقد اختفى شـامير بعد عملية الاغتيـال ولم يظهر إلا بعـد صدور العفو عن أعضاء منظمة (ليحي) فى أول ينايـر ١٩٤٩م.

يقول الباحث الإسرائيلى الدكتور إسرائيل شبيط :

إن إسحق شامير رجل بلا أيدلوجية، إذ كان فى منظمة (ليحي) مدرستان : الأولى تركض طوال الوقت خلف أيدلوجية تبرر أعمالها، و الثانية تضم هؤلاء الذين يقومون بالأعمال الإجرامية، وهذه المجموعة الثانية كان على رأسها شامير.

ولم يحدث أن نشر شـامير أو أدلى بأقوال ذات قيمة أيدلوجية، لا فى أثناء عمله السري، ولا فى الخمسينات أو الستينات.

لقد قام شامير بوضع أسس عمل منظمة (ليحي) فيما بين ٤٢ - ١٩٤٦م.

وكان بمثابة ضابط العمليات والتدريب، كما كان يعد بمثابة أحد الخبراء فى هذا المجال فى نظر المنظمات العسكرية الإسرائيلية.

هذا هو زعيم أصحاب السبت فى الوقت الراهن، رجل المؤامرات، رجل الإرهاب، رجل القتل والدماء، ولا شك أنه من المحافظين المتشددين على صفات آبائه وأجداده ممن ضلوا واتبعوا أهواءهم، إنه بالفعل خير خلف لـخير سلف، وليس من السهولة أن نتوقع تجرده مما جبل عليه، ولكن من السهولة أن نتوقع أن تصبح حكومة شامير خلية سرية للعمل الإرهابى وبالطبع سيكون أول زبائنها من العرب.

موشـــى آرنـــز

أحد ثلاثة وجوه برزت مؤخراً من بين أصحاب السبت، آرنز وزير الحرب وموشى ليفى رئيس الأركان، وحاييم هرتزوج، رئيسهم، ورئيس إسرائيل.

أما آرنز فآخر ماتولاه من مهام صهيونية هو تمثيل إسرائيل فى الولايات المتحدة كسفير لها، وأما تاريخه فحافل بالإجرام، ودعونا نلقى الضوء على تلك الشخصية.

لقد نشأ موشى آرنز نشأة صهيونية استيطانية، إذ تربى وترعرع خارج الحدود الإسرائيلية المعترف بها وقتئذ، وكأنه يريد أن يثبت للجميع أنه صهيونى استيطانى بالفطرة.

ومع نشأته وتكوينه على الأرض المحتلة، نشأ معه حنين تطور مع تطور شخصيته إلى رغبة جامحة لضم الأراضي.

ولد آرنز فى لتوانيا عام ١٩٢٦م فى أسرة غنية، ومن الغريب أن ينتمى آرنز إلى عائلة تنقسم إلى فريقين متناقضين. فابنه الأكبر وشقيقه ينتميان إلى فريق معارض للسياسة الصهيونية، والفريق الثانى وعلى رأسه موشى آرنز من أكثر «الصقور» الصهاينة تعصباً.

ترعرع فى صباه على الغذاء الإرهابى الذى قدمه له أستاذه وأستاذ الإرهاب الصهيونى زئيف جابوتنسكي.

مارس النشاط الصهيونى فى الدول الأوربية وفى أمريكا. التحق بالجيش الأمريكي، ودرس الهندسة، ثم جاء إلى «أرض الميعاد» والحلم الصهيونى ليشارك بصورة فعالة فى النشاطات الصهيونية المختلفة، فعمل فى معهد الهندسة التطبيقية، وفى الصناعات العسكرية الإسرائيلية وكان الرأس المدبر للطائرة الإسرائيلية «عربا».

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٥٤ بتاريخ ١٤٠٣/٦/٢٦هـ الموافق ١٩٨٣/٤/٩م.

ومن سمات آرنز التى تحدد لنا أسلوبه المستقبلى فى وزارة الحرب الصهيونية رفضه لاتفاقيات كامب ديفيد ومعارضته لإخلاء سيناء، ورفض كل سياسة تعتمد على حل إقليمى تفرط فيه إسرائيل فى شبر واحد من الأراضى العربية المحتلة.

ويعتبر موشى آرنز من أكثر الإسرائيليين المؤيدين والمنادين بأرض إسرائيل الكاملة، وهو يؤيد الاستيطان فيما وراء الخط الأخضر، بل يعتبره حقاً من حقوق اليهود، ويهاجم كل معارض للاستيطان اليهودي، وكل مطالب بالسلام مع العرب، فهو يفضل الاحتفاظ بالأراضى العربية المحتلة على السلام مع كل الدول العربية.

هذه بعض ملامح وزير الحرب الإسرائيلي، وهو إن لم يكن أكثر إرهاباً من سابقه شارون فلن يقل عنه. فالمسألة ليست فى تغيير قطعة من قطع الشطرنج مكان أخري، وإنما فى الفكر والعقل الذى يحرك هذه القطع، والذى يسعى إلى أن «يكش» العرب أمامه ويتراجعون.

فهل يتحرك «الحصان» العربي، ليأكل «ملك» إسرائيل «ووزيرها» بل «وجنودها» ؟!

حاخامات القرن العشرين

صرح الحاخام الإشكنازى الإسرائيلى الأكبر شلومو جورن لبعض مقربيه بأنه إذا لم يحصل على تأييد حزب المفدال (الحزب الدينى القومي) لتجديد فترة عمله المزمع انتهاؤها فى الربيع القادم، فإنه سيفكر بجدية فى إقامة حزب دينى توراتى جديد.

وقد أعلن جورن فى لقاء إذاعى أيضاً بأنه لو صارت الأمور إلى مثل ذلك، فسيقيم حزباً جديداً يمثل حركة «همزراحي» التى دمجت فى الحزب الدينى القومى مع حركة «هبوعيل همزرحى» فى السنوات الأولى من قيام إسرائيل.

وجدير بالذكر أن جورن كان الحاخام الأكبر فى الجيش الإسرائيلى، وهو الآن يعد لنفسه خطة سياسية توافق هوى قادة الجيش والحكومة، إذ يعتمد فى خطته هذه على سلامة أرض إسرائيل واكتمالها. وكذلك فإنه يشجع الاستيطان اليهودى على كل أراضى فلسطين بما فيها الأراضى العربية المحتلة.

ومن ناحية أخرى، أبدى رئيس وزراء العدو الإسرائيلى مناحم بيجن اهتماماً كبيراً لتجديد فترة عمل شلومو جورن، فالطيور على أشكالها تقع، وسياسة بيجن لا تختلف عن سياسة جورن فالأول يعتبر نفسه نبياً من أنبياء بنى إسرائيل، والثانى حاخامها الأول، وكما لا يريد بيجن أن يترك زعامة ليكود، فإن جورن لا يريد أن يترك منصب الحاخامية، فهما قد ذاقا بالفعل حلاوة المنصب. وتمسكا بأهدابه على الرغم من بلوغهما من الكبر عتياً.

ويحدد القانون الإسرائيلى عدم التجديد للحاخام أكثر من فترتين فى منصب الرئاسة، إلا أن بيجن يؤيد فكرة تعديل القانون والسماح بفترة ثالثة من أجل عيون جورن وحتى تتم «الطبخة» التى أعدها وأشرف عليها الطباخان بيجن وجورن، والمتمثلة فى إعداد وجبة الضفة الغربية الدسمة للمحرومين اليهود.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٧٨٤ بتاريخ ١٤٠٣/٤/١٥هـ الموافق ١٩٨٣/١/٢٩م.

وفى «المفدال» صرحت مصادر موثوقة بأن الحزب لن يستجيب لهذه التهديدات والضغوط، وأن جورن لو كان جاداً فى تهديده بالانسحاب وإقامة حزب جديد يهدف إلى مثل هذه السياسة، فإنه يكون بذلك أقرب إلى حركة «هتحيا» المتطرفة التى تتزعمها جئولا كوهن، من الحزب الدينى الذى يعتزم تشكيله.

وقد فتح الحاخام جورن «٦٥ سنة» جبهة ثانية عندما هاجم البابا يوحنا بولس واستهجن تصرفاته خاصة بعد لقائه بالزعيم الفلسطينى ياسر عرفات، وحمل جون البابا بولس المسئولية المباشرة للمذبحة التى تعرض لها قلة من اليهود فى روما، وراح ضحيتها بعضهم أثناء تواجدهم فى معبد يهودي، ودعا جورن يهود العالم أن يتعلموا كيفية الدفاع عن أنفسهم وألا يعتمدوا على الحكومات التى يخضعون لها، وهى نفس دعوة مناحم بيجن، وهى تحمل بين طياتها تحريض يهود العالم على التنظيم المسلح ومناهضة الحكومات الأوروبية.

تلك معالم شخصية يهودية دينية، وأوضحنا كثيراً فيما مضى معالم شخصيات يهودية صهيونية، ويبرز لنا الاتفاق المذهل بين اتجاهات وأيديولوجيات الفكر الدينى اليهودى والفكر الصهيوني، فالأصل واحد وإن تعددت الأسماء والشخصيات، فحاخام إسرائيل هو رئيس وزرائها وهو وزير حربها ورئيس أركانها، وماذا يمكن أن نقول عن رجل اليهودية الأول فى الجيش الإسرائيلي، عفواً فى جيش الاعتداء الإسرائيلي؟!

بلا شك... لقد أيد جورن حرب لبنان بل ومذابح صبرا وشاتيلا التى راح ضحيتهما الآلاف من الأطفال والنساء، فهى حرب لتحقيق المبادئ ذاتها التى يؤمن بها جورن وأعنى التوسع فى أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل. و حق الاستيطان اليهودى فى كل شبر يستولى عليه الصهاينة من العرب.

اننى أتساءل كيف وعظ الحاخام جورن الجيش والجنود فى معارك بيروت؟ وماذا قال لهم؟!

هل قال لهم وصايا التوراة : لا تقتل، لا تسرق، لا تزني؟!

هناك شك كبير فى ذلك لأن نواهى الوصايا العشر قد ارتكبها جنود جورن وبيجن فى لبنان.

وبعد.. فهل هناك فارق بعد بين يهودية القرن العشرين وصهيونيته؟!

الحاخام كهانا ..
ودراكولا مصاص الدماء

سمعت وأنا حدث صغير عن أفلام تعرض هنا وهناك تثير الرعب والهلع فى نفوس المشاهدين السذج، وتحمل اسم دراكولا مصاص الدماء. وإذا كان الاسم حقاً يثير الفزع، إلا أن المشاهدين قد نسوا أن المسألة كلها «تمثيل فى تمثيل» وان أصغر متفرج لو حكم عقله لاستطاع أن يمزق الفيلم بما فيه دراكولا وأتباعه.

وتدور دائرة الزمن وأسمع وأقرأ عن تصريحات وبيانات وأفعال تصدر عن حاخام يهودى يدعى مائير كهانا، وأتذكر ما سمعته عن دراكولا عندما اسمع اسم كهانا يتردد فى الآفاق، وكنت أتمنى رؤية فيلم دراكولا - غير أنى لست من هواة السينما ولا من روادها- لأقارن الشبه الجسمانى والفكرى بين شخصية كهانا وشخصية دراكولا.

وقد يكون معظم القراء الأعزاء قد شاهد عبر شاشة الفيديو هذا الفيلم، إلا أن معظمنا أيضاً لم يسمع بكهانا وأعماله، إذ أننا لا نبدى اهتماماً كبيراً بالحقيقة بقدر ما نهتم بالخيال والأفلام.

ومائير كهانا، البالغ من العمر خمسين عاماً تقريباً رجل قانون فاشل، ترعرع منذ صغره على سفك دماء السوفيت فى أمريكا وارتوى فى كبره من دماء العرب فى فلسطين.

سجن فى أمريكا، وفى إسرائيل، وحوكم حوالى خمسين مرة.

شارك فى العديد من حروب إسرائيل ضد العرب، ويمكن أن نبرز بعض أفكاره الدموية فيما يلى :

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٨٧٥ بتاريخ ١٤٠٣/٧/١٧هـ الموافق ١٩٨٣/٤/٣٠م.

أولاً : يطالب كهانا بتوثيق العرى بين الفكرة الصهيونية والعقيدة اليهودية.

ثانياً : طرد جميع العرب، لا من فلسطين فحسب، وإنما من أرض إسرائيل الممتدة من نيل مصر إلى فرات الشام.

ثالثاً : دعوة اليهود إلى استخدام وسائل الإرهاب المختلفة ضد العرب والانتقام منهم.

رابعاً : بيجن كاذب لأنه لم يقض على الفدائيين ولم يذبحهم، وسمح لهم بالخروج من لبنان كالأبطال.

خامساً : مذابح صبرا وشاتيلا انتقام إلهى من المسلمين على ما اقترفوه فى حق شعبه المختار، وكان على اليهود أن يشاركوا جميعهم فيها.

سادساً : الحاخامات الآخرون لا يعرفون اليهودية، لأنهم لا يطالبون بذبح العرب.

سابعاً : سيسعى كهانا لتولى منصب رئيس الوزراء، أو وزير الدفاع لتحقيق الحلم اليهودى فى السيطرة على أرض إسرائيل.

ثامناً : من يرغب فى العيش فى إسرائيل من غير اليهود فعليه أن يستعبد ويدفع الضرائب.

تاسعاً : لا يمكن أن تقوم دولة يهودية يتساوى فيها العربى باليهودي.

عاشراً : اتصل الحاخام كهانا بعصابات المافيا الإجرامية وسجن بسبب إجرامه.

هذه ملامح شخصية يهودية معاصرة، وهى شخصية دينية لها وزنها فى المجتمع الإسرائيلي، وتعبر عن وجهة نظر قطاع عريض من أصحاب السبت.

فهل يحقق كهانا أحلامه وآماله؟

هذا ما قد يقصه علينا فيلم آخر، والآن، جاءت النهاية لفيلمنا هذا، فإلى اللقاء فى العرض القادم بإذن الله.

ملامح شخصية رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو من خلال اسمه وحزبه وجنسيته

هناك زوايا عديدة يمكن النظر منها وتحديد ملامح الشخصية بوجه عام، فلاسم الشخص دلالات وإيحاءات ولانتمائه الفكرى أو الحزبى السياسى كذلك دلالات قوية تسهم كثيراً فى رسم شخصية المرء. ولاشك أيضاً أن انتماء إنسان ما، إلى بلد ما، قد يلقى بظلال تساعد كثيراً فى إتمام الصورة التى نسعى لتحديد ملامحها..

ومن هذا المنطلق، نحاول أن نرسم صورة لرئيس الوزراء الإسرائيلى الجديد، لعلها تساعد على فهم سلوكه فيما يتعلق بقضايا أمتنا :

الاسم : بنيامين نتنياهو

الحزب : زعيم تكتل ليكود

الجنسية : إسرائيلي، أمريكي

أولا : دلالات الاسم :

بنيامين نتنياهو :

أما بنيامين فهو اسم توراتى أطلقه يعقوب - (عليه السلام) - على شقيق يوسف -(عليه السلام) - الأصغر، والذى ماتت أمه راحيل فى ولادته، وكانت راحيل قد أطلقت عليه اسم «بن أوني» أى : ابن حزنى أو ابن غمى وكربي، إلا أن أباه قد غير اسمه إلى بنيامين (انظر سفر التكوين ١٨/٣٥) وقد ورد هذا الاسم فى العهد القديم حوالى ١٦٦ مرة.

نشر هذا المقال فى جريدة الشعب القاهرية، العدد ١٠٧٧ بتاريخ ١٩٩٦/٧/١٩م.

وقد اتخذ هذا الاسم (بنيامين) مدلولاً سياسياً يعد ركيزة فى التاريخ اليهودي، إذ أصبح علماً لأحد أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر، ثم أصبح مؤشراً على ميراث جزء من أرض فلسطين، تلك الأرض التى وعد بها الرب شعب بنى إسرائيل. ولا يخفى علينا مدى ارتباط هذا الاسم «عاطفياً» بالفكرة الصهيونية. فبمجرد إطلاق هذا الاسم تعود الذاكرة إلى الوراء آلاف السنين؛ فهو اسم يشير الحنين إلى الأرض، بل هو علم على الأرض الموعودة.

وأما نتنياهو فهو علم مركب من شقين (نتن - ياهو)، أولهما : بمعنى العطية أو الهبة أو العطاء، والآخر : هو اسم الرب عند اليهود، أو بدقة أكبر : اختصار لاسم الرب «يهوه»، وقد ورد هذا الاسم فى العهد القديم خمس مرات فقط.

والرب يهوه عند اليهود، له خصائص وسمات تميزه عن سائر الآلهة والأرباب، حيث تنبئنا التوراة العبرية أنه إله خاص بشعب إسرائيل، وتقدم لنا عشرات من سماته وصفاته وأسمائه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أنه إله سريع الغضب (سفر العدد ٢٢/٢٢، ٣٢).

والرب رجل الحرب (سفر الخروج ٣/١٥).

والرب يقاتل (سفر الخروج ٤/١٤)

وهو رب الجنود (سفر اشعياء ٦/٢٥، سفر ارميا ٤/٢٩ وغيرها).

وهو المبيد (سفر التثنية ٣/٣١، وسفر الخروج ٢٣/٢٣)

وهو المحارب (سفر التثنية ٢٢/٣، وسفر يشوع ٢/٢٣، ١٠)

وهو المخرب (سفر اشعياء ١٠/٣٦)

ووصايا هذا الرب «يهوه» - الذى يمثل اسمه الشق الثانى من اسم رئيس الوزراء الإسرائيلي، والذى يمثل رئيس الوزراء إحدى عطاياه ومننه، - وأوامره بالتخريب والتدمير والقتل والإبادة وشن الحروب ورفض المعاهدات وذبح السلام، كلها مسجلة

بصدق فى أسفار الكتاب المقدس، (انظر على سبيل المثال العدد ٧,٣١ ؛ والعدد ٣١/٥٠-٥٢ ؛ والتثنية ٢٤/٧ ؛ وسفر يشوع وغيره).

فإذا كان رئيس الوزراء الإسرائيلى هو «عطية الله» أو «هبة الله» فلاشك فى أن الهبة تعكس حال الواهب، والمنحة تبين لنا شخصية المانح، والواقع ينبئنا بما يمكن أن يكون عليه نتنياهو.

ثانياً : دلالات الانتماء الفكري والحزبي :

ينتمي بنيامين نتنياهو إلى حزب ليكود، بل ويتولى زعامته، وقد تشكلت هذه الكتلة السياسية الإسرائيلية عام ١٩٧٣م، إثر انضمام بعض الأحزاب والحركات السياسية فى إسرائيل مثل : حيروت، والحزب الليبرالي، وحركة أرض إسرائيل الكاملة وغيرها.

أما الأسس الأيديولوجية الرئيسة لهذا التكتل، وكما يحددها «المعجم السياسى لدولة إسرائيل» الذى أعده شيلا رولف، وصدر عام ١٩٩٢ فى القدس، فهى كما يلى :

١- المطالبة بتوسيع السيادة الإسرائيلية على الأراضى الواقعة غرب الأردن.

٢- زيادة المضامين اليهودية للبرامج التعليمية.

٣- احترام القيم الدينية الإسرائيلية.

وقد استطاع الليكود أن يصل إلى الحكم فى إسرائيلى لأول مرة فى تاريخه على يد «مناحم بيجن» الذى تمكن من إبرام اتفاقات كامب ديفيد مع مصر، ثم حصل على جائزة نوبل للسلام، مع أن تاريخه فى الإرهاب لا ينسي، ودماء الأبرياء فى دير ياسين مازالت تلعنه.

على الرغم من توقيع اتفاقيات سلام، والإعلان الرسمى أمام العالم أن إسرائيل على استعداد للتنازل عما احتلته من أراض عربية، إلا أن الليكود قد خرج فى انتخابات عام ١٩٨٤ بحملة شرسة من أجل فرض السيادة الإسرائيلية على الضفة والقطاع ورفض أى حل يقوم على التنازل عن الأرض، أو يسلب اليهود حقهم فى السيطرة أو

الاستيطان، وها هو ليكود عام ١٩٩٦ يكرر ما سبق أن أعلنه من قبل، كما أن مفهوم الحكم الذاتي لدى الليكود مفرغ تماماً من محتواه، فهو لا يمكن أن يؤدى - من وجهة نظرهم - إلى دولة مستقلة، أو سيادة أو حتى حق تقرير المصير.

ويدعو الليكود إلى قيام المستوطنات فى كل أنحاء إسرائيل، مع عدم جواز إبعاد أى إسرائيلى عن أرضه.

وجاء فى المعجم السابق ذكره (ص: ١٤٦٥) أن الليكود يرفض تماماً إجراء أى مباحثات مع منظمة التحرير الفلسطينية لاعتبارها منظمة إرهابية.

نعم، قد تحدث اتصالات وتجرى مباحثات بين الطرفين فى الوقت الراهن، لكن علينا أن نضع فى الحسبان أن هناك ثوابت ومتغيرات فى الفكر الصهيوني، وإذا حدث الاتصال بالفعل، فإنه لن يحرك تلك الثوابت الراسخة فى الأيديولوجية الليكودية، والتى أبرزها عدم التنازل عن الأرض، وعدم تقسيم القدس، وعدم قيام دولة فلسطينية.. فماذا يبقى لإخواننا الفلسطينيين من «بنود» يتفاوضون حولها؟!

ثالثاً: دلالات الانتماء أو الجنسية:

ذكرت فى البداية أن بنيامين نتنياهو يحمل الجنسية الإسرائيلية شأنه شأن كل يهودى فى العالم، كما يحمل الجنسية الأمريكية، ودرس فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة.

أما دلالة الانتماء الإسرائيلى فليست بحاجة إلى أن نشير إلى ما يستشف منها، فالرجل إسرائيلى يهودى صهيونى من منبت شعره إلى إخمص قدمه، والمطلوب منا أن ندرك حقيقة هذا الانتماء وأن ننبه أولى الأمر إلى ما يعنيه الانتماء إلى هذا الثالوث. وهناك دراسات علمية جادة تناولت توضيح ذلك ولا مجال هنا لسرد ما فيها. (انظر على سبيل المثال دراسة أ.د. حسن ظاظا عن الشخصية الإسرائيلية، دار القلم بدمشق، ودراسة أ.د. قدرى حفنى بعنوان : الإسرائيليون من هم؟ نشرتها مكتبة مدبولى بالقاهرة، ودراسة أ.د. رشاد الشامى عن الشخصية الإسرائيلية اليهودية، ونشرتها سلسلة عالم

المعرفة، ودراستنا المتواضعة عن الشخصية اليهودية فى الأدب الإنجليزى والأدب العربى ونشرتها دار عين بالجيزة، وغيرها).

والشطر الثانى من جنسية نتنياهو، وهو الشطر الأمريكي، يعيد إلى الأذهان كل ما تعانيه المنطقة، بل العالم، من السلوك الأمريكى بما فيه من حب للسيطرة واستعمار للخلق، ومغامرات وتبجح وغطرسة واستذلال للعالم.

نعود لنركب تلك الصورة المتناثرة لشخصية رئيس الوزراء الإسرائيلى على النحو التالى :

اسم يوحى بالهم والغم والتدمير والجبروت والقتل والظلم، ويرتبط بالتراث الفكرى الدينى اليهودي، وبخاصة أرض الميعاد.

وانتماء سياسى يؤكد فكرة السيطرة على الأرض مع تفريغ ما يسمى بالسلام من كل محتوي.

وانتماء قومى إلى إسرائيل وأمريكا. وهما الدولتان الوحيدتان اللتان يثير ذكرهما كثيراً من الآلام لدى كثير من شعوب العالم، كما يثير ذكرهما كذلك خوفاً وهلعاً فى قلوب كثير من الحكام.

وأخيراً، لعلى قد نجحت فى «جمع» أجزاء الصورة، وما عليك إلا أن تقارنها بصاحبها، فى ضوء سلوكه ونهجه، فإما أننى لم أوفق، ومن ثم أطلب منك «تمزيق» صورتي، وإما أننى قد أفلحت، ومن ثم أرجو أن أقيم «معرضاً» أضع فيه نماذج أخرى من حكامهم وحكامنا.

الفصل الخامس

قضايا إسرائيلية معاصرة

الزائر الثقيل إلى ضفاف النيل

لا يدرك الصهاينة، الذين هم من سلالة أصحاب السبت، ويعيشون بين عالمنا الآن، لا يدركون أنهم مكروهون وملفوظون من الآخرين، حتى أولئك الذين يتظاهرون لهم بالحب خوفاً أو طمعاً إنما يكنون لهم العداوة فى أعماق نفوسهم.

فالمسيحيون الغربيون، الذين يعضدون خلفاء أصحاب السبت فى دولة إسرائيل الطفيلية كانوا إلى عهد قريب يرون فى هؤلاء الخلفاء شرذمة عاصية تآمرت على المسيح وقتلته (حسب معتقداتهم). وإذا كانت حدة الكراهية المسيحية لليهود قد تدنت بعض الشيء، فلأن الخلاف والنزاع القائم الآن إنما هو بين يهود ومسلمين، وسنرى قريباً عند بتر أو حل أو إنهاء هذا النزاع أن جذور الكراهية فى قلوب الغربيين ضد اليهود ستنمو وتؤتى ثمارها.

واتفاقيات كامب ديفيد هى محاولة سلام جاف خاو من أى معنى أو مضمون، فمن الممكن أن نكتب معاهدة وألف معاهدة عن السلام، ولكن من المستحيل أن نزرع فى قلب فرد واحد ذرة من السلام وسط شرايين يتدفق منها دم مشبع بخلايا الكراهية لهؤلاء القوم.

والمسألة ليست تعصباً أعمى وإنما هى تراكمات أجيال وأجيال، بل هى : تراكمات آلاف السنين.

لقد دفعنى خبر أتى إلى من القاهرة مؤخراً للخوض فى هذا الموضوع، فأما الخبر فهو رفض مصر لطلب إسرائيل الاشتراك فى معرض الكتاب الدولى الذى يقام فى القاهرة خلال أيام. وقد تذرعت مصر بحجة أن الطلب الإسرائيلى قد جاء متأخراً بحيث لم يعد هناك مكان يمكن أن تقيم فيه إسرائيل جناحاً لها.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١١٨ بتاريخ ١٤٠٤/٤/٤هـ الموافق ١٩٨٤/١/٧م.

أما إسرائيل، وتطبيقاً للمثل القائل «يكاد المريب يقول خذوني» فقد صرحت على الفور بأن الرد المصرى إنما يأتى فى إطار السياسة المصرية المضادة لكامب ديفيد، كما أعربت مصادر حكومية إسرائيلية عن استيائها من الحكومة المصرية لعرقلة خطوات التطبيع بين البلدين.

ورفض مصر لاشتراك إسرائيل فى معرض الكتاب ليس جديداً، فقد سبق وأن رفض اشتراك إسرائيل من قبل، حتى عندما أقام الصهاينة لهم جناحاً بأول معرض بعد ما يسمى باتفاق السلام، قوبل هذا الجناح بمقاطعة شعبية، كان من الأجدر لإسرائيل بعدها أن تدرك أنها عنصر غير مرغوب فيه على أرض الكنانة.

والرفض الثقافى المصرى ليس هو الوحيد من نوعه، فهناك رفض سياحى ورفض تجارى ورفض حضاري؛ جميع أنواع «الرفض» واجهتها إسرائيل على ضفاف النيل.

المحاضرات التى تعقدها المؤسسات الثقافية اليهودية فى مصر لا يكاد يحضرها أحد غير منظميها من اليهود، وقلة من الدارسين، ورجال الأمن الذين يفوق عددهم عدد الحضور.

والصفقات التجارية التى تجشمت فيها إسرائيل كتعويض لبعض خسائرها فى سيناء، لم تتعد بعض شحنات البيض والمشروبات. كل شئ فى مصر يقول لإسرائيل لا... وألف لا. ومع ذلك تحاول السلطات الإسرائيلية جاهدة أن تحظى بتأييد، ولو تلك الطبقة الانتهازية التى لا مبدأ لها، لتبرهن للعالم على أن هناك مريدين لها.

ماذا بقى من كامب ديفيد بعد؟ هيكل متداع، جثة هامدة، قصة أليمة راح أبطالها الثلاثة، أطلال تتمثل فى نصوص عربية وعبرية وإنجليزية.

والشئ المهم هنا هو أن إسرائيل لا تريد أن تدرك أنها مكروهة فى مصر، كما هى مكروهة فى العالم بأسره، إنها لا تعرف أو ربما تتجاهل أنها كائن ثقيل، ثقيل على العرب والعجم، على المسلمين، وغيرهم، على الأمم المتحدة وغير المتحدة.

ويذكرنى خلفاء أصحاب السبت فى هذا المقام بقول شاعر :

سقط الثقيل من السفينة فى الدجي

فبكى عليه رفاقه وترحموا

حتى إذا طلع الصباح أتت به

نحو السفينة موجة تتقدم

قالت خذوه، كما أتانى سالماً

لم أبتلعه لأنه لا يهضم

فهل يدرك هؤلاء الثقلاء بعد، أن أمواج النيل الهادئة، لا يمكن أن تهضم وجودهم على ضفافها وبين ربوعها؟!

مخربشات اليهود

تشهد إسرائيل دائماً ظواهر نادرة وفريدة من نوعها، وذلك لطبيعة تكوين هذا الكيان الغريب، ولخصائص وسمات خلفاء أصحاب السبت.

ومن هذه الظواهر النادرة والغريبة ما يرويه زوار مقبرة الموتى اليهود، والموجودة فى جبل هرتزل، فالزائر لهذه المقبرة، وخاصة للجزء الذى يضم رفات كبار زعماء إسرائيل سيشهد شيئاً غريباً.

فعلى قبر الدكتور بنيامين زئيف هرتزل كتبت عبارات مناهضة للصهيونية، ولوثت حجارة القبر، كما رسمت عليه بعض الشعارات، كما لم تسلم المقابر العسكرية من نفس العمل.

وتدرك الشرطة الإسرائيلية أن هناك عصابة سرية تقوم بهذه الأعمال، إلا أنها لاتعرف أياً من أعضائها، وإن كان الجمهور الإسرائيلى يرى فى هذه الأعمال انتقاماً إلهياً من الموتي، إلا أن أفراد العصابة يكتبون اسم منظمتهم «كشت» وهو اختصار لعبارة عبرية تعنى «مجموعة حفاظ التوراة».

وتحاول أجهزة الأمن العثور على أى خيط يوصلها إلى هذه المجموعة دون جدوي، وكلما ثارت شكوكها حول مجموعة من المتطرفين اليهود لم تجد من الأدلة ما يؤيدها، وربما كانت أكثر الشكوك حول إحدى الجماعات المتطرفة التى تسمى نفسها «تاريخ هارون» والتى تضم من بين أعضائها العديد من ضباط الجيش وتلاميذ المدارس، والتى تكفر المجتمع اليهودى المعاصر، وتدعو إلى هدم الصهيونية والعمل بروح التوراة وتطبيق الشريعة.

وقد بدأ نشاط هؤلاء المحافظين على التوراة منذ عام ١٩٧١م حيث هاجموا المحلات الخليعة وأحرقوها، وطمسوا الصور العارية التى وضعت فى الإعلانات هنا وهناك. ولكن يمكن القول بأن نشاط هذه المجموعة كان هادئاً حتى عام ١٩٨٠م.

ومع ربيع عام ١٩٨١م بدأت تتجه أنشطة مجموعة حفاظ التوراة إلى المقابر، فلطخوا مقبرة هرتزل ومقبرة ثانى رئيس لإسرائيل، إسحق بن تسفي، ومقبرة زئيف جابوتنسكى زعيم الإرهاب الصهيونى وأستاذ بيجن، ثم انتقلوا إلى المتحف العسكرى فى قلب القدس حيث قام شخصان بتمزيق وإفساد المعروضات والوثائق التاريخية.

ولنقف هنا وقفة قصيرة نلقى فيها بعض الضوء على مغزى هذه الأحداث، فهى ليست مجرد أعمال طائشة يقوم بها بعض الصبية كتلك التى نجدها على جدران منازلنا تحيى هذا النادى وتهاجم الفريق الآخر، أعنى أنها ليست من قبيل «عاش فريق الأسد المرعب» و«ليسقط فريق السهم الذهبي».

إنها أعمال صادرة عن أيديولوجية لا يمكن التغافل عنها بأى حال.

فلماذا يتركز نشاط هذه المجموعة على مقابر زعماء الصهاينة دون بقية المقابر؟

ولماذا يطمسون الصور الفاضحة، ويتركون غيرها، ويحرقون محلات الكتب والمجلات الجنسية الفاضحة دون المكتبات والأماكن الأخرى؟

إن «الخربشات» والرسومات التى يقوم بها شعب ما تحظى باهتمام علماء النفس، لأنها تعكس أحاسيس دفينة، ومن ثم يمكن الاستفادة منها لإصلاح بعض المفاسد داخل المجتمع.

ولكن يبدو أن حب الصهيونية والتفسخ الاجتماعى الإسرائيلى قد غطى على عيون المسئولين الإسرائيليين ولم يروا فى هذه الظاهرة سوى مشاغبات من طائفة متطرفة.

إن أبسط ما تشير إليه أعمال هذه المجموعة وكتاباتها هو أن هناك تياراً رافضاً للصهيونية وزعمائها، ونفس هذا التيار يرفض الانحلال الخلقى الذى يعيشه المجتمع الإسرائيلي.

وأذكر هنا أننى درست ضمن تخصصى «مخربشات» الصفويين والثموديين والنبط، وأن دراسة هذه الخربشات - رغم تفاهة مضمون بعضها - كانت تؤدى إلى اكتشاف جانب كبير من تاريخ هذه الأقوام وحضارتهم، وإذا كان الإسرائيليون فى القرن العشرين

يحاولون تهوين أمر هذه الظاهرة فقد تأتي حقبة تاريخية يكتشف فيها القادمون إلى هذا المكان من خلق الله هذه الخربشات، ويصوغون منها حقيقة تاريخية تسجلها الوثائق، ويدرسها الدارسون، وقد نعثر على تقرير لاحدهم يقول :

هنا عاش كيان غريب أحب الرذيلة، وحارب الفضيلة، احتل الأرض، وطرد الشعب وزعم وهماً أنه شعب الله المختار.

اليـهود وشـبح عـام ٨٣

منذ أسابيع قليلة خلت ودع العالم عاماً ميلادياً حفل بالعديد من الأحداث، وقد كان هذا العام المنصرم بمثابة كابوس جثم على صدور خلفاء أصحاب السبت ومازال رابضاً على صدورهم، يهدد كيانهم ويكتم أنفاسهم..

لقد شهد يهود العالم فى العام الماضى تزايد ظاهرة الذوبان فى البيئة التى حاولت الصهيونية العالمية جاهدة تلافى اشتداد أوارها على مر السنين، وارتفعت نسبة تزاوج اليهود من غير بنى جلدتهم، ولم يعد لأصحاب السبت فى الدول الغربية تلك القوة التى كانت لهم فى الأعوام السابقة، كما بدأ الشباب المثقف من أحفاد أصحاب السبت ينجذب للعالم الغربى وينسى أسطورة أرض الميعاد أو أرض المعاد، إذ لم تعد هذه الأرض تدر لبناً وعسلاً كما توهموا..

كما شهد العام الماضى فشل الحركات اليهودية الدينية فى تقديم البدائل لهؤلاء الفارين من «أرض الآباء»، واستطاع التطلع المادى اليهودى أن يطغى على الحب المزعوم، والعشق الكاذب «لأرض إسرائيل».

وازدادت خلال العام المنصرم حدة ما يسمى باللاسامية فى الاتحاد السوفيتي، وزادت القيود على المهاجرين، وبدأ معين القوة البشرية لإسرائيل ينضب ويجف، فالهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتى والتى كانت بمثابة العمود الفقرى لقيام إسرائيل، ثم استمرارية هذا القيام، تكاد تتوقف تماماً وذلك يرجع لسببين رئيسين : أولهما الأوضاع المتردية فى إسرائيل : اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وأخلاقياً، وثانيهما التوتر السائد بين الدول الكبرى.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٤١٦٠ بتاريخ ١٤٠٤/٥/١٧هـ الموافق ١٩٨٤/٢/١٨م.

حتى تلك القلة التى استطاعت أن تخرج من الاتحاد السوفيتى بهدف الهجرة إلى إسرائيل ولت هاربة تجاه الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا لتطعن إسرائيل لا فى قوتها فحسب، وإنما أيضاً فى مزاعمها بوحدة الشعب اليهودى وترابط العائلة اليهودية.

أما وضع إسرائيل فى لبنان فقد ازداد سوءاً خلال عام ١٩٨٣م، وراحت ألحان وأهازيج انتصارات شارون تتبدد فى الواقع الأليم الذى يحياه أفراد القوات الغازية للبنان، وبدأت انسحابات إسرائيل الواحد تلو الآخر بعد أن دفعت هذه القوات ثمن الغزو، وثمن الانسحاب.

وخلال العام الماضى زاد تجمد العلاقات المصرية - الإسرائيلية، وتبخرت أحلام التطبيع، وأصبح من المسلم به أن «كامب ديفيد» قد انزوى وغاب مع أبطاله وذلك لاتباع الحكومة الإسرائيلية سياسات غير حكيمة سواء فى حربها فى لبنان أم فى بنائها للبؤر غير الشرعية المسماة بالمستوطنات فى الأراضى العربية، الأمر الذى زاد من تعقيد المشكلة الفلسطينية.

ولم تشهد إسرائيل أحوالاً اقتصادية سيئة ومتردية كتلك التى شهدتها خلال العام الماضى؛ فالتضخم قد تضخم، وهوة التفاوت الطبقى اتسعت واتسعت، وهبطت الصادرات وارتفعت الواردات، زادت الديون وجاعت البطون.

أما المجتمع الإسرائيلى فقد عانى خلال عام ١٩٨٣م معاناة قاسية من شظف عيشه، وانحطاط اخلاقه، وتدهور أوضاعه، فالجرائم كثرت وتعددت أنواعها : رشوة، سرقة، زنا، اغتصاب، مخدرات، مسكرات، إتاوة «بلطجة» تهديد، ابتزاز.

وعلى المستوى السياسى والحزبى لم تشهد إسرائيل من قبل ما شهدته خلال العام الماضى، فلقد فقدت الثقة تماماً بين المواطن والحكومة، واتخذ التنافس الحزبى صوراً مخزية من الصراع القائم على مجرد الاحتفاظ بالكراسى لا خدمة البلاد، وراح كل حزب يشوه صورة الآخر، وكل زعيم ينهش لحم الآخر، فهذا خائن، وهذا كاذب، وهذا عميل، وهذا قاد البلاد إلى كارثة، وذلك يقودها إلى هاوية.. وهكذا.

والفكرة الصهيونية ذاتها لم تنهض بعد من كبوتها، وراحت تغط فى نوم عميق خلال العام الماضي، فالحلم الإسرائيلى فى تثبيت دعائم العقيدة الصهيونية تبدد أمام فشل المشروع الصهيونى المتمثل فى إسرائيل، ومن ثم اختفت تلك الأصوات التى برزت من قبل ونادت بتأييد الصهيونية العالمية.

لا شك أن أصحاب السبت - أفراداً وحكومة وفكرة وعقيدة - قد شهدوا عاماً مريراً قاسياً، وعلى الرغم من بدء العام الجديد، ومرور شهر ونصف تقريباً من هذا العام، إلا أنه لا تلوح فى الأفق بوادر تحسن فى أى مجال من المجالات التى أشرت إليها.

نعم.. إن الصهيونية تحتضر، وأصحاب السبت يحتضرون، فهل نعرف كيف نستغل تلك الظروف جيداً؟!

باريف وعقوبة الموت

فى مقال ساخر للكاتبة الإسرائيلية حانا زمار، وعلى إحدى صفحات جريدة «دافار»، طالبت الكاتبة المذكورة بقتل اللواء حاييم بارليف عضو الكنيست، ورئيس هيئة الأركان السابق، وسكرتير عام حزب العمل، وصاحب خط الدفاع الشهير الذى قهرته القوات المصرية فى حرب أكتوبر.

والكاتبة هنا تطالب بتطبيق القانون الإسرائيلى على بارليف جزاءً لما تلفظ به من قول، وما أبداه من رأى.

فماذا قال بارليف؟ ولماذا يطالبون بقتله لمجرد إبدائه لرأيه؟

«اقترح حاييم بارليف إمكانية حل النزاع الإسرائيلى السورى فى إطار اتفاق سلام، وذلك بتنازل إسرائيل عن هضبة الجولان».

هذا هو الرأى الذى يستحق عليه الإعدام طبقاً للمادة رقم ٩٧ب من قانون العقوبات الإسرائيلى الصادر فى ١٩٧٧م، ونص المادة ما يلى :

«من يتعمد العمل من أجل خروج أى أرض من تحت سيادة إسرائيل أو يدعو إلى دخول هذه الأرض تحت سيادة دولة أخرى، ومن يفعل أى عمل من أجله أن يؤدى إلى ذلك، يحكم عليه بالإعدام أو السجن المؤبد».

لقد أثارت فكرة بارليف – وهى مجرد فكرة لا يستطيع تنفيذها – أعضاء الكنيست ضده، وقد أجمع الحاضرون فى جلسة من جلسات الكنيست على اتهام بارليف– رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلى السابق– بالخيانة، وطالب معظمهم بمحاكمته طبقاً للمادة المذكورة آنفاً على جريمته النكراء؛ إذ كيف يمكن لإسرائيل أن تتنازل عن جزء من أرضها – أعنى الجولان – لدولة أجنبية – أعنى سوريا– ؟!

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٩٩٢ بتاريخ ١٤٠٣/١١/٢٦هـ الموافق ١٩٨٣/٩/٣م.

إن الجولان - منذ أن فرض عليها بيجن القانون الإسرائيلي - أصبحت كتل أبيب وحيفا في نظر الإسرائيليين، وهي من قبل أن يفرض بيجن قانونه عليها كانت تقع ضمن خارطة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل. وكان السوريون يحتلونها دون وجه حق. وأذكر أنه عشية ضمها إلى إسرائيل خرج علينا بعض الصهاينة بأبحاث مزيفة يدعون فيها تواجد آثار يهودية قديمة في الجولان مما يدلل على يهوديتها.

إذن فمطالبة بارليف بإعادة الجولان إلى سوريا لا تعني إعادة أرض محتلة إلى أصحابها، وإنما تعني لدى الإسرائيليين التنازل عن جزء من دولة إسرائيل لدولة أجنبية، وهي جريمة بالطبع تستحق الإعدام، ويستحق مرتكبها أن يوصف بالخيانة، ولكن إذا كانت هذه الأرض حقا ملكاً لإسرائيل.

ولا يمكن أن يكون اقتراح بارليف - وهذا رأي الإسرائيليين أيضاً - ضمن حملة المعراخ الانتخابية، لأن المعراخ قد وافق على سن قانون الجولان وضمها إلى إسرائيل، فاقتراح بارليف إذن يعتبر خيانة للخط الأيدلوجي لحزبه.

إن فكر أصحاب السبت في القرن العشرين قد بنى على بعض الأسس المقيمة التي لا سند لها من التاريخ أو القانون الدولي، إنه الفكر الوحيد الذي يعتمد على آمال وأوهام القدامى والمخرفين؛ فأسطورة أرض إسرائيل الكاملة والسليمة لا تقل دجلاً وكذباً عن أسطورة الشعب المختار.

لا يوجد في العالم بأسره من أقصاه إلى أقصاه دولة تبني سياستها على أوهام الماضي؛ ولكن إسرائيل تطالعنا بخزعبلات لا يقبلها العقل أو المنطق، والأدهش من ذلك أنها تعمل على تحقيق هذه الخزعبلات، بل ويساعدها العالم الذي يدعي الواقعية والإنصاف.

هذه هي سمات فكر أصحاب السبت، وهذه هي أفعالهم وممارساتهم.

ليكود .. والنعيم المفقود

تزعم حركة «حيروت» التى يتزعمها الإرهابى مناحيم بيجن، والتى تمثل العمود الفقرى لتكتل ليكود الحاكم أنها حركة ديمقراطية لا مثيل لها، ولكن فى الاجتماع الأخير لمركز الحزب اتضح عكس ذلك تماماً.

ولقد تعلم هذا الدرس عضو الكنيست كوهن أورجد الذى قرر أن يلقى على أسماع الحاضرين بعض الحقائق حول سياسة وزير المالية يورام أريدور، بل ويطلب إجراء تغييرات فى السياسة الاقتصادية بوجه عام.

ولكن لم يسمح لأورجد بكشف أكاذيب الحكومة «الديمقراطية» ومنع من الكلام، وأنهيت الجلسة بسرعة حتى لا تكون حقائق أورجد سبباً فى اندفاع الآخرين لإظهار المزيد من مساوئ حكومة بيجن.

ويعود وزير المالية ومساعده ليعلنا على الملأ أنهما ينتهجان سياسة اقتصادية سليمة، وهنا ارتفعت الأصوات المضادة واستمر أورجد يلقى على الحاضرين ما هربت من سماعه قيادات الحزب الذى يتشدق بالديمقراطية.

ومما لا شك فيه أن «حيروت» بأكمله يدرك أن وزير المالية قد أعلن إفلاسه السياسى ولم يعد لديه من أفكار أو خطط يمكن أن تنقذ، أو على الأقل تمنع انهيار الاقتصاد الإسرائيلى، الأمر الذى جعل شعبية أريدور تتدنى إلى أقل درجة لها، وهذا ما استغله معارضو أريدور كى يسقطوه من على رأس قائمة المرشحين لخلافة بيجن وزعامة حزب «حيروت».

وهناك أوساط صهيونية قد باتت مقتنعة بأن حل المعضلة الاقتصادية لا يكمن فى استبدال أريدور بآخر، لأن وزير المالية إنما يمثل سياسة الحكومة بأسرها.

نشر هذا المقال فى جريدة الجزيرة، العدد رقم ٣٩٧١ بتاريخ ١٤٠٤/١١/٥هـ الموافق ١٩٨٣/٨/١٣م.

من هذه الواقعة يمكن أن نستخلص حقائق مهمة تضع علامات بارزة على الطريق السياسى الإسرائيلى.

ففشل السياسة الإسرائيلية لم يقتصر على الخارج، والداخل، وإنما تشعب هذا الفشل حتى تمكن من الأسس التى زعم الحزب أنه قام عليها. لقد بدأت دابة الفشل تنخر فى أساس «حيروت»، ومن ثم بات السقوط يهدد هذا الهيكل المتداعي.

لقد فشلت الحكومة الإسرائيلية فى اتفاقها مع مصر ولم تحقق شيئاً، وفشلت فى حربها ومازالت تدفع الثمن، وفشلت فى علاقاتها بدول العالم، وفشلت فى سياساتها الداخلية : اقتصادياً واجتماعياً وصهيونياً، وها هى تفشل فى الاحتفاظ بوحدتها الداخلية متمثلة فى الصراع القائم على ميراث الرجل المريض مناحم بيجن.

إن الشيخوخة التى أنهكت مناحيم بيجن ألقت بظلالها أيضاً على حزبه، ومن الصعب على من أدركته الشيخوخة أن يعود مرة أخرى إلى الصبا.

والسؤال هنا إلى متى سيظل اليهود يقولون ما لا يفعلون؟ إلى متى ستظل كل أمة تلعن أختها؟

لاشك أن صفات أصحاب السبت ليس من السهولة تغييرها، بل ربما من الاستحالة تهذيبها.

اليــهود الســود

ذات يوم، كنت اتصفح أوراقاً قديمة احتفظت بها، ونسيتها، وذهلت لهذه الغفوة مني، لأن ما بيدى من أوراق يضم بين سطوره قضية خطيرة بحق، وكان يجدر بى أن أتناولها منذ زمن، ولكن هذا هو القدر.

أما القضية فهى تتعلق بطائفة من اليهود أو العبريين السود والمسماة بالكوش أو الكوشيين العبريين، وهم يهود جاءوا من الولايات المتحدة وليبيريا وغيرها.

وكنت أعتقد أن عنصرية إسرائيل التى نقرأ عنها إنما تتعلق بالعرب والمسلمين فحسب، وذلك ما نلمسه من الممارسات العنصرية البشعة التى تقع من جانب إسرائيل تجاه الأراضى العربية المحتلة وسكانها.

ولكن فى الحقيقة إن الروح العنصرية التى تعشعش فى النفسية الإسرائيلية، والدماء العنصرية التى تسرى فى أجساد هؤلاء المسيطرين على الأراضى الفلسطينية، لم تقف عند حد الاضطهاد للعرب، وإنما تعدته إلى هذه الطائفة الكوشية التى تنتسب إلى العبريين وإلى اليهود.

فماذا عن هذه الطائفة ؟

لا أعلم فى الحقيقة أصل هذه الطائفة، وكل ما جمعته عنهم أنهم يهود سود، جاءوا إلى أرض الميعاد كما يزعمون.

وإذا كانت إسرائيل تشهد صراعاً عنصرياً بغيضاً بين ما يسمى بالإشكنازيم (اليهود المنحدرون من أصل غربي) وما يسمى بالسفاراديم (اليهود المنحدرون من أصل شرقي)، وأن الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وزعماء إسرائيل بوجه عام، يتخذون مواقفهم العلنية من هذا الصراع الذى نتج عنه رفع الإشكنازى وإنصافه وتقديره على حساب السفارادى الذى حرم من المناصب القيادية أو حتى من أبسط أساليب الرعاية

الاجتماعية، لا لذنب اقترفه ولكن لأن الدماء التى تجرى فى عروقه هى دماء شرقية، أقل طهارة من دماء الغربيين.

أقول إنه إذا كانت إسرائيل تشهد صراعاً بين هاتين الفرقتين اللتين تتفاوتان فى الحقوق والوضع الاجتماعي، فإن فى إسرائيل طائفة لا حقوق لها، ولا وضع لها، بل لا رغبة فى وجودها بين الإسرائيليين عموماً.

هذه الفرقة الثالثة من فرق الصراع العنصرى هى فرقة الكوشيين.

أما عن أوضاعهم فأول ما يقابلنا تجاهها هو منع أى يهودى كوشى قادم من الخارج من دخول إسرائيل لا كمقيم ولا كزائر.

وفيما يتعلق بالموجودين منهم بالفعل فى إسرائيل، فهؤلاء يعانون ويقاسون من سياسة التفرقة العنصرية التى يلاقونها على المستوى الجماهيرى والمستوى الحكومي.

فهم يعتبرون - على الصعيد الرسمى - مواطنون من الدرجة الثالثة.

ولا يسمح لهم بالخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلي.

ولا يسمح لهم بدخول أى منطقة عسكرية دون تصريح رسمي.

ولا يسمح لهم بحق الانتخاب والتصويت.

ولا يسمح لهم بالدراسة فى مدارس الإسرائيليين العادية، وإنما لهم مدارس خاصة، أساتذتها سود، ومدراؤها سود.

ولا يسمح لهم بالعمل فى المشاريع والأعمال التابعة لليهود الإشكناز أو حتى السفاراد.

كما أن الوكالة اليهودية لا تقدم لهم أية مساعدات تذكر، ومكاتب العمل تتجاهلهم تماماً.

صور عديدة لسياسة التمييز العنصرى التى تعانى منها هذه الطائفة التى يبلغ تعدادها حوالى ثلاثين ألف نسمة، والذين جاءوا إلى إسرائيل منذ عام ١٩٥٥ تقريباً.

لقد استغلهم حزب العمل برئاسة بن جوريون فى بداية نشأة إسرائيل بهدف مضاعفة أعداد اليهود لمواجهة العرب، ولكننا نرى بعد ذلك ندم بن جوريون واعترافه بالخطأ الكبير الذى وقع فيه عندما سمح لهؤلاء السود باستيطان إسرائيل.

ولم يكن وضع هؤلاء السود أيام بيجن بأحسن حالاً من بن جوريون وغيره، فقد ساءت أحوالهم، بل وألقى بهم أخيراً فى منطقة صناعية بالقرب من ديمونة حتى يستنشقوا هواء مصانع البتروكيماويات الفاسد للتخلص منهم بصورة لا تثير الشكوك.

هذه صورة بسيطة للغاية لبعض مظاهر التمييز العنصرى بين اليهود أنفسهم، وذلك حكم الله عليهم حيث قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم : «وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة...» الآية

فأى عداوة وأى بغضاء بعد هذا التناحر والصراع بين الإشكنازى والسفارادى والكوشي.

وهل لنا بعد ذلك أن نتوقع من هؤلاء القوم معاملة حسنة تجاه إخوة لنا يحيون تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلى العنصرى؟!

قـراءة فـى
أوراق انتفاضة الأقصى وسفر يشوع

سلوك الإنسـان يعكس - دائمـاً - تراثه وحـضـارته، والمتـأمل فى أحـداث أراضى السلطة الفلسطينية «المحتلة» فى الأيام الأخيرة، لابد - إن كان فى كيانه بقايا إنسانية - أن يصدم لهول ما يرى ويسمع :

رجال ونساء وشيوخ وأطفال يقتلون غدراً.

مساكن ومنشآت تهدم وتقصف براً وجواً.

مظاهر الحياة تباد وتهلك.

هذا هو سلوك الإسرائيلى المعاصر تجاه أهل فلسطين.

وبقدر ما اهتزت مشاعرى لاغتيال براءة الطفولة، وبقدر ما ارتعدت فرائصى لإذلال الكهولة والشيخوخة، وبقدر ما ذابت عواطفى لانتهاك حرمات النساء، رحت أبحث وراء تبرير لهذه الهمجية، همجية القرن العشرين أو الحادى والعشرين، ونازية الشرق الأوسط التى بعثت من جديد، ووجدت الإجابة واضحة جلية فى سفر يشوع، السفر السادس من كتاب الإسرائيليين والنصارى المقدس.

لا أظن أنى بحاجة هنا لأعدد صور الإجرام الإسرائيلى تجاه الفلسطينيين، فكلنا يراها بعينيه، ويسمعها بأذنيه، ويلمسها بجوارحه.

ولكننى بحـاجـة مـاسـة هنا كى أضـرب بعض نماذج هذا الإجـرام، فى التـراث الإسـرائيلى المقـدس، لأنى على يقين من أن مـعظمنا : شـعـوباً وقـادة، لا نعـرف هذا

نشر هذا المقال فى جريدة آفاق عربية، القاهرة، ٩/١١/٢٠٠٠م.

التراث، فلو كنا نعرفه حقاً، لأدركنا حقيقة ذلك الخصم اللدود، الذى يكن بين ضلوعه عداوة ضاربة بجذورها فى القلوب والصدور، يبلغ عمقها ثلاثة آلاف سنة وبضع مئات. جاء فى سفر يشوع المقدس، وكل ما جاء فى هذا السفر بأمر الرب :

«وأباد الإسرائيليون كل ما فى مدينة أريحا من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف.. وأحرق الإسرائيليون المدينة بالنار مع كل ما بها. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد، جعلوها فى خزانة بيت الرب» (٦/٢٤-٢٦).

وهكذا أيضا فعل الإسرائيليون - ومعهم يشوع - مع مدن سيحون ملك حشبون :

«فضربناه وبنيه وجميع قومه، وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت. وأبدنا وأهلكنا من كل مدينة الرجال و النساء والأطفال. لم نُبق شارداً. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا...» (سفر التثنية ٢/٢٣-٢٥).

هذا هو التراث الإسرائيلى المقدس تجاه فلسطين وأهلها : إبادة للرجال والنساء والأطفال، نهب للممتلكات، احتلال للأراضى.

فهل اختلف إسرائيليو الأمس عن إسرائيليى اليوم؟

إن شخصية شارون الإرهابى-الدموى اليوم، لا تختلف كثيراً عن شخصية يشوع كما صورتها لنا أسفار الكتاب اليهودى المقدس.

لقد انضم شارون المولود عام ١٩٢٨م إلى منظمة «الهاجاناه» الإرهابية اليهودية وقاد قوة الكوماندوز الخاصة المسماة بالوحدة (١٠١) فى حرب ١٩٤٨م، وكانت أولى مهامها القيام بعمليات إرهابية ضد العرب، واتسمت حياة شارون العسكرية بالتمرد والعصيان لقادته.

لقد أسهم شارون فى كل العمليات الإرهابية التى وجهت ضد العرب، وقد تم استدعاؤه بعد حرب يونيو ١٩٦٧ لإبادة الانتفاضة العربية فى الأراضى المحتلة، وفى غزة بوجه خاص، واستطاع شارون فى الفترة من ٧٠ - ١٩٧١ أن يشن عدة عمليات عسكرية وأن يعتقل المئات من سكان غزة، مطبقاً عليهم سياسة العقاب الجماعى الفورى.

وأبرز الأدوار الإرهابية الإجرامية «اليشوعية» لشارون كان في مذبحة «قبية» حيث هاجم ٤٥ منزلاً وقتل عشرات الأبرياء، وكذلك في مذابح صبرا وشاتيلا التي راح ضحيتها عشرات الأطفال والنساء والشيوخ والرجال، والتي تعد «صورة حديثة» لمذابح يشوع في أراضي فلسطين.

وقد استجاب الإرهابي العالمي مناحم بيجين لرغبات شارون وعينه وزيراً للحرب بعد تولي بيجين الوزارة في السبعينيات، وراح شارون ينفذ ما يحلو له دون اعتبار للحكومة ولا للمجتمع الدولي، الأمر الذي دفع نصف مليون إسرائيلي للخروج في مظاهرة يطالبون فيها بإسقاط شارون، كما جاء في تقرير لجنة كاهان المكلفة بالتحقيق في مذابح صبرا وشاتيلا إدانة دامغة للإرهاب «الشيوعي» المتمثل والمتجسد في سلوكيات شارون، الأمر الذي أدى إلى إقالته. ويعود شارون من جديد - وليس بمستبعد أن يتولى رئاسة حكومة إسرائيل قريباً (*)، كما تولاها أخوه في الإرهاب، مناحم بيجين - ليمارس إرهاباً جديداً في قلب الحرم القدسي الشريف.

إن القارئ للأحداث الأخيرة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بكل ما فيها من تفاصيل، وما تمخض عنها من نتائج، ليجد نفس «السيناريو» مسطراً منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام في سفر يشوع :

فالقتلة هم القتلة.

والضحايا هم الضحايا.

والسيناريو هو ذاته.

والاختلاف الوحيد فيمن قام بالإخراج.

بالأمس، كان يشوع، واليوم باراك ومساعده شارون.

أما نحن، فنحن المتفرجون.

أعيدوا قراءة التاريخ سادتي، ونسألكم يا شهداء الأقصى ألا تلعنونا.

(*) تولى شارون بالفعل رئاسة الحكومة الإسرائيلية عدة مرات، واغتيل في عهده المئات من رموز المقاومة الفلسطينية، ودمرت المنازل، وصودرت الأراضي.

